محمد السعيدي الرجراجي

رجراجة وتاريخ المغرب

2004 - 1424

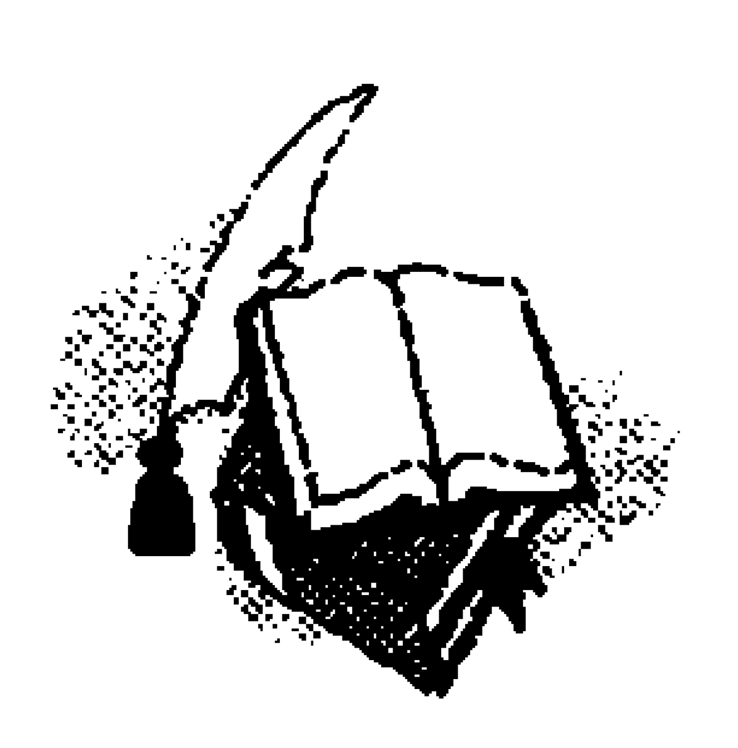
محمد السعيدي الرجراجي

رجراجة وتاريخ المغرب

1425هـ - 2004م

منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر

13



الكتاب : رجراجة وتاريخ المغرب

المؤلف : محمد السعيدي الرجراجي

الغلاف : بريشة الفنان عبد الوهاب الزين

الإيداع القانوني 2004 / 1158

ردمك 9954-8177-5-1

الطبعة الاولى 2004/1425

مطبعة : ربا نيت **Rabat Net Maroc**

Av. Hassan II Cité Manar

n° 6/3 Diour Jamaâ

Rabat - Tél.: 061 20 37 76

061 07 83 63

طبع هذا الكتاب بدعم من جمعية حوض أسفي

مكتب فرع الرباط

رجـــراجـــة وتـــاريـخ المغـــرب

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

- إلى والدي المنعمين في دار الخلود إن شـــــاء الله،

أبي الذي غرس في نفسي حب البحث و العلم و الاستمرار و الحق.

وأمي التي أعطتني المثل الحسن في الصبر و التحمل و الأمـل.

- إلى زوجتي أم أولادي التي حافظت على أوراقي ووثائقي ووفرت الوقت و الراحة ليخرج هذا العمل.

و غيره إلى الوجود.

أهديهـم هـذا المجهـود.

بسم الله الرحمن الرحيم

- تقديم -

في كلمة للسيد الوزير الاستاذ الدكتور احمد التوفيق بالدور الرجراجي بالصويرة في ربيع هذه السنة اشار إلى العناية الملكية بالرجراجيين وأدوارهم (مواسمهم) وان النية متجهة للمزيد، ومن ضمنها إنشاء معلمة بضريح الشيخ الصوفي التابعي شاكر بن يعلا الرجراجي . .

ولايسع الإنسان إلا أن يغتبط بهذا النبا الذي يدل على المكانة التي حظي بها الرجراجيون منذ حملوا لواء الجهاد والمثاغرة، خاصة في العهد العلوي المجيد، وما سيحظون به في عهد القائد الباني.

إن المعلمة المزمع إقامتها هي معلمة للخير والاعتراف بالجميل، والربط القوي بين ماض جميل وحاضر يتفاعل ليكون أجمل ليضئ بظلاله على مستقبل واعد بالعطاء والتقدم.

لقد كان لرجراجة مقامهم داخل المد الجغرافي لوطننا، وكانت بلادهم علامة بارزة من علامات هذا المغرب المضينة . . وكانت انشطتهم متعددة، وتحركاتهم هادفة، وان تأخر ركبهم شان غيرهم لظروف لا يد لهم فيها، حتى بلت الموسم المقام في ربيع كل سنة - على علاته - هو العلامة المميزة لهم كان لم تكن لهم مدارس علمية، ولا شخصيات بارزة، ولا قضاة و لا علماء ولا مؤلفون ولا مجاهدون ولا متصرفون ولا رجال للتجارة والمال والكسب والرحلة . .

ما عرف الرجراجيون في التاريخ إلا بالخير والفضل والولاء والطاعة أولياء الامور.

وما تقدموا لصفوف للمجاهدة والمطاولة لشعورهم بأن سبقيتهم للإسلام تفرض عليهم أن يكونوا حماة، غزاة، رسلا للمحبة والتصالح. وقد عرف لهم ملوكنا العلويون هذه الخصال، فكلفوهم في أكثر من مرة بإصلاح ذات البين بين القبائل المتحاربة وإرجاع الأمن الى نصابه إن إنشاء معلمة رجراجية لن يقتصر دورها حسب فهمنا - على احتفال سنوي ليوم أو يومين أو ثلاثة ولكنها مناسبة لعمل مستمر مبني على الجدية والتلقائية والنظرة الحكيمة، والغاية التي يتوخاها منها أمير المؤمنين . . .

وعساها تكون فتحا جديدا، ونبراسا مضينا يعيد لرجراجة تألقهم، ولأدوارهم الدينية والإنسانية والعلمية وهجيتها، ولتضحياتهم اعتبارها وقيمتها في عصر محمد السادس الذي نرجوه أن يكون عصر رخاء ورقي وأمن وتالق ونهوض وفتح مبين.

الرباط في جمادى الاولى 1425 - 10 أكتوبر 2004

محمد السعيدي الرجراجي

إطلالة

بسم الله الرحمن الرحيم
و الصلاة و السلام على رسوله الكريم و ءاله و صحبه.

توالى في السنوات الأخيرة إصدار كتب في حجم (السلسلة الجيبية) من مختلف المنابر، وقد سدت فراغا لا يستهان به في أزمة الكتاب والثقافة بالمغرب، و ساعدت في راحة من تشكو جيوبهم من محدودية قاتلة، واقتصدت كذلك في الوقت بالنسبة للقارئ العادي أو لصاحب الاختصاص.. ولكن يخشى أن تكون قد زودته بمصل من الكسل العقلي والبحثي فاستمرأ الراحة خاصة إذا كانت بعض هذه الكتب هزيلة المستوى عناوينها أكثر من صفحاتها وصفحاتها كالإعلانات بريقها يبهر ولمعانها يدوخ و هذا كل شيء.

و مع ذلك فنحن نقدم اليوم هذا الكتاب الصغير الحجم لدواع:

1) إن ما كتب حول رجراجة حتى الآن فيه بعض الطول الزائد، و فيه بعض التداخل، ورغم أهمية ذلك، فإن كثيرا من القراء ليس بإمكانهم الصبر على المتابعة إلى النهاية، وليس بإمكانهم استخراج اللب من بين عدد من الآراء والنظريات و الإحالات، مما قد يزهدهم في الاقبال على القراءة جملة وتفصيلا

2) إن الناحية الرجراجية الغنية بصوفيتها وجهادها وإنسانها واقتصادها وعلمائها في حاجة إلى كتاب يبين ذلك عن طريق اللمحة والإشارة والسهولة والإيجاز بغية المشاركة في تيسير بلورة جديدة نتمناها موضوعية بقدر ما نستطيع لمعرفة هذه الناحية أكثر والاطلاع على مآثرها وقضية صحبة رجالها السبعة دون تطويل ممل أو تقصير مخل.

3) إن هذه الأحاديث كتبت في أوقات مختلفة بعضها نشر بكتاب أو مجلة أو نشرة، وبعضها لم ير النور لحد الآن ، فأحببنا أن نضمها كلها لتستقر بين دفتي كتاب، و إن تكن بعض المعلومات مكررة فذلك مما اقتضته المنهجية حسب الظرف والمناسبة والمصدر الذي نشرت فيه، ولكنها لا تخلو من إضافة

و عسانا نكون قد وضعنا لبنة جديدة في صرح هذه الناحية تضاف إلى صروح أخرى أقامها رجال مخلصون و فقهاء و مؤرخون اعتمدناها فوجب منا الدعاء لهم بالأجر و الثواب ، واستحقوا بذلك شكرنا وشكر كل الأجيال.

و عسانا نكون قد بلغنا بعض ما إليه نهدف ، و الله الموفق.

مراكش في 7 ربيع الأول 1422/20-5-2002.

الفصـــــل الأول

-التعريـف
مــن هــم رجــراجة ؟

أ- قبيلة رجراجة إحدى قبائل المصامدة بالمغرب الأقصى، وحد بلاد المصامدة من النهر الأعظم المسمى أم الربيع الذي يهبط من جبال صنهاجة إلى البحر الأعظم وعليه قبيلتان من المصامدة إحداهما هسكورة والأخرى دكالة، وآخر بلادهم الصحراء التي يسكنها قبائل لمتونة ومسوفـــة وصرطة وهؤلاء ليسوا من المصامدة، قال في المعجب " فهذا حد المصامدة عرضا و حدها طولا من جبل درن إلى البحر الأعظم وقبائلها التي يطلق عليها هذا الاسم هسكورة وصنهاجة ودكالة وحاحة ورجراجة و لمطة و حنفيسة و هنتاتة و هرغة و قبائل أهل تينمل، وحول مراكش منهم هزميرة و هيلانة وهزرجة فهؤلاء يجمعهم اسم المصامدة " [1]

ب- فقبيلتهم إذن بربرية من هذه القبائل التي كانت تعمر المغرب و التي لم تختلط أنسابها بالعرب وتمتزج امتزاجا كليا إلا بعد حركة عبد المومن بن علي الموحدي ثم حفيده يعقوب المنصور حيث قصدا خضد شوكة العنصر البربري و تقليل فرص الثورة لديه، وقد أثمرت هذه السياسة لأن العنصرين البربري والعربي غير بعيدين عن بعضهما حيث يقال: إن البرابرة وفدوا من اليمن والجزيرة العربية بعد العصر المطير ، وقد أنت تلك الحركة تلا قحا غريبا و كونت مجتمعا مغربيا مسلما متجانسا يصعب أن ترد فيه شخصا إلى أصوله الأولى.

ج- «و أما ركراكة" فكانت تشمل في ذلك العصر منطقة واسعة بين دكالة وحاحا و معظمها جنوبي وادي تانسيفت يحدها البحر غربا،و تدخل فيها منطقة وادي شيشاوة ، و تشمل جزءا على الأقل من منطقة متوكة الحالية التي مركزها بوابض،و يستفاد من التشوف أن قاعدة ركراكة في عصر التادلي كانت هي أكوز» [2]

ح- "وقد نزلت رجراجة بالسوس و الصحراء من وادي شيشاوة إلى فم القاهرة و حاحة و الشياظمة و أحوازها و الساقية الحمراء و عددهم أربعمائة أسرة حفظ منهم القرءان و المدونة ثلاثمائة رجـل و ثلاثمائة امرأة" [3]

د- رجراجة-هذه القبيلة هي مقر السادات الرجراجيين المشهورين بالمغرب وبالأخص بقبيلـة الشياظمة حيث توجد أضرحة أسلافهم، و قبيلة رجراجة التي ينتسب إليها هؤلاء الافاضـل تستقر بجنوب نهر تانسيفت و كان لها فضيلة السبقية إلى الإسلام في عصر ظهوره كما كانت من أولى القبائل المغربية المناصرة للإسلام و المدافعة عنه و بالأخص عند ظهور برغواطة بتامسنا، واشتهر منهم سبعة رجال هم المعروفون برجال رجراجة وهم...." [4]

و حتى لا نطيل نكتفي بهذا دون الرجوع إلى ما جاء في تاريخ ابن خلدون و غيره من الكتب التي تبقى لها اهميتها و فائدتها خاصة كتاب (السيف المسلول، فيمن أنكر على الرجراجيين صحبة الرسول) للمؤلف عبد الله بن محمد بن البشير السعيدي الرجراجي الذي بحث القضية من كل الجوانـــب وتابع النقولات و تقصاها و تقراها. وكذلك الفقيه الكانوني في ياقوتته.

هوامش الفصل الأول

1 - المعجب في تلخيص اخبار المغرب / عبد الواحد المراكشي ط القاهرة /.1368-1949عن الياقوتة للكانوني

2- التشوف إلى رجال التصوف - /ابن الزيات التادلي /تحقيق احمد التوفيق

3- المعسول /المختار السوسي ج 4ص 9/ط فضالة-.1380-1960

4- كتاب المغرب / الصديق بن العربي ص: .144ط: 3 .1404/1984

الفصــــل الثانـــــي

صحـبـتـهـم و زوايـاهـــم:

1- الصحبة.

صحبة الرجراجيين مشهورة جدا، وإن اختلف فيها كثيرا، وبحثها العديد من الكتـــــاب والمؤرخين، وألفت فيها عدة مؤلفات ، وأسال فيها المتناظرون مدادا كثيرا، وكانت وراء كل واحد نوازع و مشارب،وحجج وقضايا إلا أنه يلاحظ على البعض انه يتسرع في التدليـــل والأحكام،وليس عيبا أن يبحث الإنسان ويقرر ويحكم، ولكن العيب أن يرفض الامر جملـــة وتفصيلا، بل يعمد إلى نقل ترهات لا يعفيها من الوصف أن كتبها فقهاء كما نقل ذلك الأستاذ الفقيه المختار السوسي في المعسول الذي جعل القضية (حكاية خرافية موضوعة[5])، والحقيقة انها خرافية حسب ما رواه شكلا وموضوعـا ومعلومات وتاريخا، إلا أن الأستاذ السوسي ما يعتم أن يكتب (أقول: عهدي بصاحبنا الكانوني قد جمع مؤلفا في رجراجة فإليه يرجع الامر، لان من درس الموضوع، لا يمكن أن يساويه أمثالنا الذين اطلوا عليه بغتة، ولذلك نسحب ذلك الحكم الذي أصدرناه حتى يقول المطلعون كلمتهم، ونحن وإن كنا لا نكاد نشك في أن هذا هو الرأي السديد لكننا نوثر أن يكون العارف بالموضوع المتشبع بما قيل، هو المصدر للحكم لا من لا يتصدر له[6]

والمؤلف الذي يشير إليه الأستاذ المختار هو (الياقوتة الوهاجة، في مفاخر رجراجة لابي عبد الله محمد بن احمد العبدي الكانوني الذي بحثها بحثا شافيا وخرج بخلاصة "إن الراجح هو القول بصحبتهم عملا بالشهرة الذائعة الشائعة بذلك التي نص عليها غير واحد من الائمة المعتبرين،

و أن الواجب هو العمل بمقتضى ذلك و الوقوف عنده[7]

وممن بحث فيهم كذلك بحثا جيدا الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه رباط شاكر الذي لا نتوفر عليــه، ولم نعثر عليه لحد الآن،و لكن نتوفر على ملخص له في مقالة كتبها في مجلة المغـــرب و نقلها العلامة السعيدي في كتابه: السيف[8]، و كذلك القاضي العلامة السيد محمد بن عبد العزيز بن حاتم الاندلسي الآسفي الذي له فيهم قصيدة تربو على الخمسين بيتا وأما أسماء هؤلاء السادة الصحابة فهم:

1- مقدمهم و رئيسهم سيدي واسمين بن يعزى بن مهدي بن إسماعيل بن مروان بن علقمة، بجبل الحديد.

2- سيدي أبو بكر أشماس و هو أكبرهم و صاحب مشورتهم بن عكرمة بن غيبين بن ابي خابية ابـن أمج باقرمود.

3- ولده سيدي صالح بن أبي بكر و هو معه في روضة واحدة.

4- سيدي عبد الله أدناس بن عامر بن دائم بن مجاهد بن أردن ببلاد التوابت.
5- سيدي عيسى بو خابية بن كويهل بن حارث بن زياد بن أرتن، و كان يصبغ ثياب المجاهديـــن و يحرضهم على قتال المشركين، برتنانة عند شاطئ تانسيفت.
6- سيدي سعيد المكنى السابق بن كويهل من ذرية أرتن و هو أخو سيدي عيسى بوخابية بطالعة الشياظمة/تمازت.
7- سيدي يعلى بن واطل بن مصلين مدفون مع ولده شاكر بن يعلى ب: أحمر ولقد تحدث عنهم أكثر من واحد نثرا ونظما ، وقد اخترنا نظم الفقيه عبد الله السعيدي الرجراجي، لأنه جمع في نظمه عديدا من اللذين تحدثوا عنهم يقول:

رجراجـــة: عيسى و عبـد اللـــه	صالح و الشماس أهـــل الله
سلطانهم واسميـن ذو المزايـــا	يعلى سعيد أربـــاب الزوايـــا
لا شك فـي صحبـــة هـــــؤلاء	افخر بهم وصـــل بلامـــــراء
ذكر ذا الكتاني فـــي الأزهـــــار	وسلوة الأنفـــاس لاتمــــــار
وهو الذي يعرف بابــن جعفــــر	عليه وابل الرضـــا كالمطـــــر
وصاحب الروضة و النشـر معـــا	سلسلة الذهب فافهم واسمعا
رباط شاكــــــر لعبـد الحــــي	رحلة احمد السكيـر جـــــــي
عبد الكبير الشـاوي فـي عيونـــه	مؤرخ الحمراء فـــي كمالـــــه
محمد الكـــانوني فـي الوهاجـــه	كويتب الحروف فـــي الفتوحـــه
لفقه عبد اللـه الرجراجــــــــي	ساكن عبدة لدى المناجـــــــي[9]
لكنه سبحانـــه تفضـــــــــــلا	بالعود للوطن جـل وعـــــــلا[10]

و لا اريد أن أدخل في نقاش مطول كما اسلفت حول صحبتهم و أهليتهم للوصول إلى مكة انطلاقا من ان المسافة كانت حائلا بينهم و بين الوصول إلى تلك الربوع، فهذه النظرية أصبحت متجـاوزة، و الدراسات و البحوث أثبتت أن الإنسان المغربي منحدر من الشرقيين الذين كانوا بالمغرب منذ خمسين الف سنة (50.000) ق.م، بل إن دراسة أجريت على خمسين جمجمة من اليمن افادت انها تشبه بشكل يلفت الانتباه جماجم إفريقيا الشمالية، فكيف تغلب هؤلاء على البعد والمشقـة وننكر ذلك على رجراجة ؟ وهل كان رجراجة بدعا في هذا المجال وبيضة للديك والجيـوش والفاتحون والتجار والجموع على اختلاف انماطها واهدافها تروح وتغدو؟ وقد ثبت أيضا أن: "الخزفيات اليونانية العائدة إلى القرن السابع قبل الميلاد وكذا النقوش المكتوبة باللغة الفينيقية على شقفات الخزف، تعد شاهدا ثابتا على وجود مستودع تجاري بالصويرة التي كانت مرفا يتوقف فيه الفينيقيون أيضا لإصلاح وترميم سفنهم و للتزود بما يحتاجون إليه من سلع ومؤن" فمع من كان يتجر الفينيقيون ؟

ومن هم سكان هذه النواحي ؟ أليسوا ركراكة و حاحا؟

الا يمكن أن تثمر هذه العلاقات علاقات أخرى تمكن بها الرجراجيون من الوصول إلى المشرق فجاءوا بعد ذلك باصول مسيحية إلى بلادهم ليتوج كل ذلك وبعد ذلك

بالرحلة إلى مكة حيث أسلموا ورد عليهم الرسول عليه الصلاة و السلام بلغتهم ورجعوا إلى بلادهم ينشرون الإسلام و يؤسسون مواسمهم السنوية التي كانت غايتها بالدرجة الأولى دينية محضة للزيارة وتفقد الإخوان وزرع مبادئ الفضل و الإخاء .

محاولات للتشكيك

وكما مر فإن بعض المؤرخين حاولوا ويحاولون إلقاء الضبابية والشكوك حول رجراجة وصحبتهم منطلقين من :

أ- أن المؤرخين لم يكتبوا عن هذه المرحلة

فمن هم المؤرخون الذين يريدونهم أن يكتبوا؟هل البرابرة الذين دخلوا الإسلام على يد رجراجة ؟ ومن

أين لهم بهذا وبربريتهم تمنعهم إن سلمنا أنهم متعلمون ؟

هل العرب الفاتحون ؟ وهؤلاء مهمتهم الفتح و الغزو و الجهاد وليس التاريخ إن كان فيهم من يهتم به ؟ هل تاريخ المغرب معروف منذ وفود رجراجة على الرسول الكريم إلى مجيء المولى إدريس رضي الله عنه معرفة نطمئن إليها وإلى أحكامها ؟ بل هل تاريخ المغرب معروف حق معرفته حتى الآن ؟.

إن الثوارت المتتالية والفتن المتعددة منعت بلادنا من العنصر الأساسي للكتابة والتدوين والتثقيف وهو الاستقرار، فإن النتف التي نعرفها عن هذه المرحلة إنما أغلبها من سبيل واحد وهو سبيل المتغلب أو الوالي أو الثائر، وكلهم أصحاب سيف ورهبة وقوة وجيش.

ب- إن قضية الصحبة لم تثر إلا في القرن الثامن الهجري وبعده، أثارها شهاب الدين الخفاجي في كتابه (نسيم الرياض،في شرح شفاء عياض وابن شريف التلمساني وابن مخلوف وغيرهم.

وهذا واقع فالذين تعرضوا لها أولا ، فعلوا ذلك وهم يتحدثون عن بلاغة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما الذين تعرضوا لها ثانية أبرزهم علماء مراكش وآخرون فليدافعوا عن حقيقة تاريخية اقتنعوا بوجاهتها وتبثت عندهم صحتها بعد تمحيص وبحث، ولم يربطوها كما حاول آخرون بظهور الزوايا والرباطات في القرن السادس و السابع وما تلاهما.

حقيقة إن هذه القرون كانت قرون جهاد ومصاولة للدخيل وتصوف ، وإذا كان لرجراجة حظهم في ذلك فهو ليس من باب إثبات الذات والصحبة بدليل أن الذين أثاروا الصحبة لم يكونوا فقهاء وعلماء و متصوفين رجراجيين، لأنها عندهم من الأمور التي لا تحتاج إلى نقاش بله التشكك والتشكيك، بل الأغرب اننا لا نجد علماء في مكانة عبد الله بن أبي جماعة السكياطي وحفيده عبد الله بن إسماعيل ومحمد الشريف ومحمد بن عمر وأحمد بن محمد الأبيهي والقاضي الحاج علي بن عبد الصادق السعيدي الصويري وأحمد ابن عبد المالك السعيدي البنحميدي وغيرهم كتبوا في هذا الموضوع أو توسعوا فيه اعتمادا على:" أني اعتذر عنهم بأن أمر رجراجة أمر مفروغ منه و يعلمه

أهل الظاهر و الباطن"[12]

ج- أنهم لم يكونوا ذوي ذكر و طموح في مجال السياسة و الصراع حول الحكم والذي يتتبع فلسفة الرجراجيين منذ بدأوا في دعوة الناس إلى دين الله بالحسنى ثم بالسيف لن يفاجا أبدا إذا وجدهم بعيدين عن الصراع المولد للفتن و الاقتتال اللهم إلا إذا فرض عليهم، و غالبا ما كانوا هم المعتدى عليهم.

و هذا سر بقائهم و محافظتهم على أصالتهم و مواسمهم التي لا نعرف لها مثيلا في العالم الإسلامي رغم انقطاعها لمدد ما تمشيا مع السياسة العامة للدولة أو لظروف أخرى قاهرة. كما جرى على العهد الموحدي او السعدي او العلوي.

وفلسفتهم هذه لا تنفي أنه كان فيهم وزراء وقضاة وأطباء وعلماء وحيسوبيون قريبون من أصحاب القرار و الذين لهم كلمتهم و رأيهم ووزنهم كما سنشير لذلك لاحقا وحتى بعض الثوار ولو محليا.

نخلص من كل هذا إلى أن صحبة الرجراجيين تندرج تحت ثلاث نظريات:

- النظرية الأولى الجازمة بصحبتهم ووصولهم إلى رسول الله (ص) و قد اعتمد أصحابها على نقولات وأقوال وحجج واجتهادات لعلماء ومؤرخين ومتصوفين و أهل المعرفة.

- النظرية الثانية الرافضة لثبوت الصحبة و قد انطلقت بدورها مما رأت أنه يؤكد نظريتها و يثبت حجيتها خاصة وان كتب الحديث لم تشر الى شيء من ذلك.

ولعل من قال في هذه النظرية قولا بعيدا جدا عن البحث العلمي وإن كان قد استدرك بعد-الأستاذ الفقيه المختار السوسي ، وقد نقل رأيه عن أستاذه الشيخ شعيب الدكالي: واستحضر أننا مرة في الدرس في مجلس شيخنا أبي شعيب الدكالي الصديقي رحمه الله جرى ذكر صحابيتهم، فرده شيخنا، فقيل له: إن الخفاجي في شرحه على الشفا يقول ذلك، وساق في معرض أن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بلغات شتى تلك المكالمة المتقدمة بينه وبين الرجراجيين، فتبسم شيخنا فقال: إنما الخفاجي نقال، وهذا لا ننكر أنه مذكور، لكننا نقول إنه باطل مكذوب، ثم قال: لو كان الخفاجي الأديب المطلع اتم اطلاع على الآداب وما إليها من العربية، مقتصرا على التغزل والتشبيب بالقدود والخدود والجولان بين الغصون والورود، لكان ذلك به أولى، وإلا فإن الحديث لا يكفي فيه النقل حتى يكون ذوقه متربيا في الإنسان"[13]

ورغم أن الشيخ الدكالي طعن في ثقافة الفقيه الخفاجي وهو ليس فضلة ولا نكرة في الثقافة الإسلامية وتلك مغالاة لا شك فيها، فإنه هو نفسه وقد دعي بحافظ المغرب كان الشيخ عبد الحي الكتاني يقول عنه في دروسه (إنه حافظ ولكنه محجوب العقل والفهم) فهل نصدق الكتاني في الدكالي؟ أم نصدق الدكالي في الخفاجي؟ وأخرى وحسب رواية شفهية عن مؤلف السيف المسلول أن الشيخ شعيبا حط الرحال مدة بمدرسة زاوية بن حميدة الرجراجية، فتنطع ذات مرة وتفوه بما أحنق مقدم رجراجة ساعتها فعزم على ضربه بالسياط ففر، وربما بقي في نفسه شيء على الرجراجيين وعلى تلك الزاوية التي استضافت كذلك الشيخ علي الدرقاوي والد الفقيه المختار

السوسي وكان مسمعا بها لمدة ما في الصلوات الخمس والجمعة.

-النظرية الثالثة هي التي وقفت وسطا فلم تهمل الصحبة اعتمادا على ما يدعمها عندها، ولم ترفضها لأن الحجج التي بين أيديها- وقد تكون من بينها السياسية- لا تسعفها .فرأت أن الامـر محتاج إلى زيادة بحث و بذل مجهود و إعمال نظر فقد تظهر الايام ما يجلو الشك و ينير العتمة.

وهذا رأينا فرغم أننا لا نشك في أمر الصحبة، فإننا نتوق لمزيد من البحث والتقصــي والعمل الجاد المنير لمعالم الطريق، فالقضايا لا تكتسب شرعيتها بما هو موجود فقط وبما يتداوله الناس، ولا بما يطمئن إليه الرجراجيون ولا يطمئن إليه غيرهم، فرجراجة يشرفهم أن يكون جدودهم صحابة لرسول الله (ص) و يشرف ابناءهم و أحفادهم أن ينعتوا بأبناء و أحفاد الصحابة، و لكن يشرفهم كذلك أن الذين تنكروا لصحبتهم أو سيتنكرون لا يوافقهم التاريخ ولا يصفق لهم البحث.

اضف إلى هذا فلا توجد قضية تعلو على البحث و التقصي فأحرى أن تناقش بعصبية فأحرى أن تكون متمردة كما يحلو لبعض الباحثين أن يصف قضية الصحبة الرجراجية.

ورجراجة قبل هذا و بعده-مسلمون موحدون، يشهدون أن لا إلاه إلا الله وأن محمدا رسول الله..)

2- وزوايـــاهم

وقد يجيء سؤال او عدة أسئلة مترابطة:

لماذا زوايا وليست زاوية واحدة ؟

ولماذا تعددت ؟

ولماذا اتخذت أسماء مختلفة هنا وهناك ؟

واقعيا أن البحث في هذه الزوايا ليس يسيرا أمره ولا هينة قضاياه لمعوقات وأسباب منها على سبيل المثال:

1- أنها ليست وليدة قرنين أو ثلاثة فيسهل التعامل معها ويستقيم الحديث عنها في فقرة محدودة المساحة والوقت والهدف وإنما هي ولدت بميلاد الإسلام.

2- أنها ليست زاوية واحدة بل عشرات متفرقات في المغرب وعند هذه ما ليس عند تلك، وإن كانت أغلبيتها موجودة في الإقليم الصويري، وحتى هذه منها ما هو أساسي ومنها ما هو فرعي (الكبيـرة والصغيرة) حسب تعبيرهم.

3- المصادر المعتمدة في هذا المجال لا تسعف الباحث بالكثير وإن كان السيف المسلول ، والياقوتة الوهاجة قد سدا ثلمة كبيرة في هذا المضمار.

4- إن الوثائق والمستندات التي لأربابها كثيرا ما يضنون بها ولايجد الباحث تعاملا تلقائيا معهم و لا مع الوثيقة، وهي عديدة ومتنوعة، وقد يكون فيها ما تعرض له الرجراجيون من تعسفات على يد مختلف الأسر المتعاقبة على حكم المغرب والتي تعاملت معهم من منطق الحذر و الريبة.

إننا وبدون أن نتعرض لدور تأسيسها وما قامت به لأننا تحدثنا عنه في مكان آخر

من هذا الكتاب.

نقول إن الزوايا الرجراجية قدمت لهذا الوطن الكثير إن على مستوى الجهاد والمثاغرة والتصوف وإن على مستوى العلم و الدين والفكر

وإن على مستوى الحياة بعامة لانها منتشرة في المغرب كله وكلها أدت دورها حينما لا يكون من تاديته بد. وهذه الزوايا تقع في بلاد قال في حقها صاحب كتاب الانساب: "من اراد الدنيا والاخرة فعليه ببلاد رجراجة" [14]

هوامش الفصل الثاني

5 - المعسول ج .4 مرجع سابق.
6- المعسول ج .4مرجع سابق.
7- الياقوتة الوهاجة/مخطوط، بدا في طباعته لكن المنية عاجلته.
8- ص .30/14ط 1/ -1987/1407 البيضاء،
9 - منفاه بعبدة في سبيل القضية الوطنية.
10 - رجع للزاوية من منفاه سنة .1957
11- مذكرات من التراث المغربي ج 1ص : 129/94
12- السيف المسلول/مرجع سابق.
13- المعسول ج 4ص: 11؛ ولول من صرح بصحبتهم كما قال الاستاذ الفقيه الشيخ محمد بن احمد العبدي الكانوني في نسخة ثانية مخطوطة من كتابه (الياقوتة الوهاجة في مفاخر جراجة) مؤرخة ب 25 رجب 1357 هو: الشيخ ابو يزيد عبدالرحمان بن عفان الجزولي ثم الفاسي المتوفي سنة 741 هـ عن مائة ونيف وعشرين سنة ، ذكره في احد شروحه الثلاثة على الرسالة".
14- التيار الصوفي و المجتمع ص 68 عن الحركة الصوفية بمراكش حسن جلاب ج 1 ص : 42 ط 1- مراكش 1994

الفصـــل الثـالـــث

الـدور الجهـادي و الصوفـي لرجراجـة

ربما لا نجد فروقا جوهرية كبرى بين المجاهد الصوفي الذي انطلق من صوفيته ليكون مجاهدا او العكس خاصة رجال رجراجة الذين انطلقوا من اول يوم للجهاد في سبيل الله تدفعهم عقيدة قوية وإيمان عميق بوجوب كسب إحدى الحسنيين الشهادة أو النصر.

وكل الكتب التي تحدثت عنهم أو تحدثت عن الجهاد و التصوف بعامة تعرضت لهم و أثنت على مواقفهم و جعلتهم في مقدمة من حاربوا برغواطة ونحلا أخرى ثم المد الكاسح للاستعمار الصليبي الغربي بعد ذلك في المراسي والسفوح و الجبال من الحدود إلى الحـدود وحاربوا كل من اعتقدوا فيه التنكب عن الطريق السوي.

يقول الأستاذ المختار السوسي : " ونحن نعرف ما مضى لهم من مجد في جهاد برغواطة أيام ازدهار مدينة (نفيس) و(رباط شاكر) فقد مثلوا أعظم دور حتى أيدهم الله باللمتونيين فوحدوا الكلمـــة وأفرغوا المغرب كله مع غيره في قالب واحد، فكانت وحدة اندمج فيها الرجراجيون وغيرهم"[15]

ويقول الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله:" لاحظ دوكاستري (السلسلة الأولى السعديون-البرتغال ج /ص: 120) أن فشل البرتغال في الصويرة عام 915 (1510هـ) في الوقت الذي استطاعوا بسط نفوذهم في آسفي وأكادير يرجع للفوضى التي كان يعيش فيها الناس حول هاتين المدينتين بينما اصطدم البرتغاليون حول الصويرة بمقاومة أذكت روحها عناصر من ركراكة المصامدة الذين وصفهم الحسن الوزان بالاستقامة والتقوى" [16]

ابن خـزر و رجـراجـة و الأدارسـة

لم تحفظ لنا الأيام إلا القليل والاستنتاجات ومقارنات-لحد الآن- عن أخبار تحركاتهم وأيام جهادهـم وسنوات نضالهم إلا ما كان من نتف حول قيادة السادة السبعة وأدوارهم في الجهاد، وهذا يدخل فيما أشرنا إليه سابقا إلا أن الظاهر أنهم لم يشتركوا في تلك المآسي التي كان المغرب مسرحا لها على عهد الإباضيين الذين حاولوا انتهاز الفرصة فأحدثوا ما هو معروف، ولم يتلوثوا بنحلتهم الفاســدة وفضائحهم النجسة.

و لا بد للمرء أن يتساءل في القرن الثالث:

لماذا تسلط ابن خزر المغراوي على رجراجة فقتل منهم العديد وشتت شملهم وفرق جموعهـــم وأخرجهم من بلادهم فقصدوا هذه الناحية أو تلك في الوقت الذي فعل فيه ذلك بالأدارسة ؟ هل كانت لهم يد مع هؤلاء الشرفاء ؟ هل كانوا يناصرونهم لأنهم

من أهل البيت؟ هل لأنهم سائرون مع الكتاب والسنة ليس إلا؟.. لا نملك إجابات مقنعة ولكننا نعرف أن المولى إدريس الأول غزا مدينة نفيس[17] وهي قريبة من بلادهم و يوجد بها رباط شاكر وهو اشهر من نار الخنساء على علمها ، وبه رجراجيون و رجراجيات، وأن محمدا ابن إدريس الثاني لما وزع المغرب على اخوته كانت نفيس من نصيب و لده عبد الله، وأن صاحب نفيس بعد ذلك كان حمزة بن جعفر من بني عبد الله بن إدريس ويصرح البكري بأن مدينة نفيس دالت بذهاب الأدارسة.

فهل جاء الترابط من هنا؟ وليست نفيس بالبعيدة من ركراكة على كل حال إضافة إلى أن عمرانها وشهرتها قد اتصلت دائما بر باطها الرجراجي الشاكري العتيد إضافة إلى رباطها الأصلي كما هو معروف .

ولم تكن مدينة والسلام، وإنما يصفها البكري بقوله: "وهي تعرف بالبلد النفيس كثيرة الأنهار والثمار، ليس في ذلك القطر أطيب منه ولا اجل منظرا، وهي قديمة أولية غزاها عقبة بن نافع صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحاصر بها الروم ونصارى البربر، وكانوا قد اجتمعوا بها لحصانتها وسعتها فلزمهم حتى فتحها، وبنى بها مسجدا إلى اليوم وأصابوا غنائم كثيرة وذلك عام 62هـ ، وهي اليوم ءاهلة عامرة بها جامع وحمام وأسواق جامعة، بينها وبين البحر مسيرة يوم، يسكنها قبائل من البربر أكثرهم مصمودة، وكان صاحبها حمزة بن جعفر الذي ينسب إليه السوق"[18]

ويبدو مما سبق انه كانت لهم يد في شؤون الدولة ولو عن الطريق الجهادي، وعن طريق نفيس الشيء الذي رشحهم للمصير المذكور.

ولا يبدو أن المولى إدريس أعطى لحرب برغواطة- وقد كانت قناتهم قوية، ولم يلقوا السلاح إلا ليستأنفوا مرات- ما أعطى لحرب تلمسان، ونرى أن الأمر ربما تعلق باحد الافتراضات.

1- أن برغواطة كانت من القوة إلى الحد الذي تجنب معه الأدارسة قتالها، وهذا مالا نراه، فالرحلة من وليلي إلى تلمسان لم تكن رحلة للاستجمام وشم الزهور، والمجاهد هو مجاهد للعدو وإن قويت الشكيمة واشتد الباس.

2- أن برغواطة ساعتها كانت في جزر لها بحيث لم تعد تكون خطرا على الدولة الناشئة وهذا ما لا نراه كذلك فإن" يونس بن إلياس بن صالح البرغواطي أخلى ثلاثمائة وسبعا وثمانين مدينة بالمغرب منها مدينة تيمغس اقام القتل في أهلها ثمانية أيام"[19]

3- أن رجراجة ومن كان يدين بالإسلام من الأفراد والقبائل الأخرى كانت قائمة بالواجب وهذا هو المرجح، لأننا نعلم أن يعلى وهو أحد الرجال السبعة وكان آخرهم موتا -كان مشاركا في أخريات حياته في حرب برغواطة ومعه طبله الذي كان يضرب به قبل بداية المعركة أو أثنائها للتنبيه والتشجيع، وقد بقي هذا الطبل معلقا برباط ولده شاكر بن يعلا إلى القرن السادس وشاكر كما هو معلوم من تقدم الصفوف حتى استشهد.

ولم تكن هذه الحرب بالسهلة ولا القصيرة، فزيادة على المسافة الفاصلة بين بلاد رجراجة وتامسنا فإنها دامت عقودا كثيرة بين إيمان صحيح وكفر جاحد ، وعفة وطهارة وظلم وتطاول وحرية وانعتاق وتنكيل وإرهاق[20]

وقريب من نفيس ووسط بلاد ركراكة كان رباط آخر مشهور أقدم من الأول بقرية عظيمة هو رباط(اكوز[21]) وهي بلاد حويرة على طرف وادي تانسيفت على شاطيء البحر حيث الرباطـــات والمساجد متعددة"

ولعل فيما أتى به البكري فيما يخص المسافة بين عدد الرباطات ما يشي بالكثير: "والطريق من أغمات إلى رباط كوز من اوريكة إلى نفيس خمسة وثلاثون ميلا، ومن نفيس إلى شوشاوة ثلاثون ميلا ، ومنها إلى مرامر ثلاثون ميلا، ومنها إلى رباط كوز خمسة وعشرون ميلا، وذلك عشـــرون ومائة ميل"[22] ولا يخفى أن أكوز كانت هي الرئة التي تتنفس منها وبها مدينة أغمات، لأنها كانت مدينة ءاهلة جميلة" وكانت مقر للعامل وبها يجبى الخراج" [23]

وليس رباط شاكر ورباط اكوز هما الوحيدين الممكن التحدث عنهما، فإن هناك رباطات كثيرة سميت فيما بعد زوايا لكل منها قصة وتاريخ ومجاهدون وصوفيون وائمة أعلام في هذا المجال.

وباستقراء بسيط يعثر الإنسان على العجب العجاب.

رجراجة و المرابطون في صف واحد.

لقد التقى الرجراجيون والمرابطون في الجهاد ولكنهم اختلفوا في السياسة، فإن كثيرا من الإشارات تدل على أن الجو بينهم لم يكن صافيا دائما شانهم مع الدول الاخرى، رغم أن رجراجة كانوا في صفهم و من المدافعين عنهم[24] ومن الذين مدوا لهم اليد اول ظهور هم كما في القرطاس[25] إن السقطة التي سقط فيها المغرب بتنافس قوتين عظيمتين على حدوده هما العبيديون بتونـــس والامويون بالاندلس في القرن الثالث وبداية الرابع وما أحدثاه من ارتباك وخلخلة وخلافات بين المؤيدين لهؤلاء أو لاولائك كان لها تاثيرها الاجتماعي والسياسي والديني، فكلما تغلبت قوة فعلت ما يفعله الغالب مما كان له الأثر السلبي على النفسية المغربية وأصحابها الذين امتشقوا السلاح للذود عن الشريعة والإرث الإسلامي ريثما جاء المرابطون ليظهروا على المسرح كقوة بديلة معتمدة على الكتاب والسنة والنقاوة الدينية التي اعطت سلطة أعاشت الإسلام بالاندلس اربعة قرون أخرى هذه السلطة التي جعلت صاحب كتاب (السلالات الإفريقية) دنيز بولم يقول: وفي هذه السلطة الدينية يكمن كل مبدأ للوحدة السياسية تقريبا، فالارتباط الديني في إفريقيا الشمالية يحتل مكان الشرعيـــة، ويخلق السلالات للحكم أو يبطل حكم الحاكمة فلا تستطيع أية مؤسسة أخرى ضمان استمرارها" [26]

وكما كان المرابطون دولة علم و علماء كانوا دولة جهاد و هذا معروف و لكن المستقرئ لحركاتها الجهادية يجدها منصرفة في الغالب الاغلب إلى الاندلس والمغرب الاوسط و قبائل اغمارة، و كانت جيوشها تضم العدد الوافر من الجنود و المتطوعين الرجراجيين، بل إن الرباطات الرجراجية المنبثة في البلاد خاصة في الجنوب كان لها الدور الحاسم في تكوين الدولة المرابطية و تقويتها و إلا فهل يعقل أن يتم الامر للمرابطين بالسرعة المعروفة لمجرد رسالة من أبي عمران الفاسي إلى وكاك بن زلو اللمطي ليرسل الاخير أحد طلبته هو عبد الله بن ياسين لتستقيم الامور وتجيش

الجيوش و تفتح البلدان بعد انكفاء بإحدى الرباطات حتى توافد الناس جماعات ووحدانا بغية التطهر والامتثال لأمر الله والجهاد ضمن المجاهدين؟ الواقع المشاهد والمعاش يقول لابد من أرضية ممهدة وتغطية سابقة كانت وراء كل ذالك وساعدت على اقصاء المد البرغواطي الذي تجبر؛ وكان سببا في القضاء على قوة الرجراجيين الذين استشهد منهم الكثير ابرزهم رؤساؤهم وزعماؤهم.

و في القرون الأخرى:

و القرون الأربعة من الخامس إلى الثامن، وتوالت فيها اسر حكمت المغرب من المرابطين إلى المرينيين، كانت بطبيعتها قرون تصوف إلى حد كبير، لأن الأحوال السائدة كانت تدعو إليه، إلا أنه كان تصوفا يقرن الجهد بالجهاد، والاعتكاف بالعمل، والعلم بالسلوك، والتضحية بالإيثار، والذكر بالحركة، ولقد تنبه لهذا القاضي التادلي مؤلف كتاب التشوف إلى رجال التصوف، وكان قاضيا ببلاد رجراجة و بها توفي سنة 627 أو 628 هـ فقال: " وسميت هذا الكتاب بالتشوف إلى رجال التصوف ، وإن كان مشتملا على أضراب من افاضل العلماء والفقهاء والعباد والزهاد والورعين وغير ذلك من ضروب أهل الفضل، فإن اسم الصوفي يصدق على جميعهم بوضع هذا الاسم عند المحققين ، فإن كثيرا من الناس لم يحصلوا حقيقة اشتقاقه، والذي يعول عليه أن الصوفي هو المنقطع بهمته إلى الله تعالى المتصوف في طاعته"[27]:

ومن هذا المنطلق فإن رباطات رجراجة وزواياها كلها موئل للصوفية العاملين والعلماء المجدين، وقد سبقت الإشارة إلى رباط اكوز ، ولنا أن نتصور العدد الضخم الذي زاره من الأولياء الصلحاء والمجاهدين طوال ستة قرون وأكثر، ورباط شاكر وكان موعدا لاجتماع الصلحاء والعباد في السابع والعشرين من كل سنة في شهر رمضان يؤمونه من جميع الأطراف والمناحي حضرته في إحدى السنوات الزاهدة ءامنة الدكالية المتوفاة بمراكش عُام خمسة وتسعين وخمسمائة (595)فقالت: (حضر هذا العام بهذا الرباط الف امرأة من الأولياء)[28]، فكم كان عدد الرجال؟

وقد سبقت الإشارة إلى كتاب الشيخ عبد الحي الكتاني (رباط شاكر) وقال عنه سنة 1341هـ لما زاره: (وبالجملة فالذي يرد اليوم على مشهد هذا الرباط على طرف واد نفيس يرى مشهدا مؤثـرا وبسيطا ممتدا ، ومجاري ومناظر وترابا ونباتا وروابي أشبه شيء ببسيط ومناظـر وتراب القيروان الذي به مسجد عقبة إلى اليوم[29]، وجدد هذا الرباط الملك العالم سيدي محمد بن عبد الله في رحلته الربيعية سنة 1178هـ/1764م

وقد زرت هذا الضريح سنة 1983م/1403هـ وتألمت فعلا لما عليه حالة الضريح والمسجد خصوصا وهو جماعة قروية وبه سوق كبير، ولقد لفتت نظر السيد عامل إقليم آسفي إليه وقيل لي إن إصلاحات مهمة بوشرت فيه وفعلا كان ذلك[30] وإن عبق التاريخ العطر لينبعث من بين ثنايا كل ذرة فيه، وإن نور الله يتخلل كل تلك الأرجاء التي قصدها شيوخ عظام ومتصوفون كرام كالشيخ أبي محمد صالح وابن الزيات التادلي وغيرهم

اللذين يحق فيهم قول الفيلسوف ابي بكر بن طفيل :

ما كل من شم نـــال رائحـــة	للناس في ذا تبين عجـــــب
قوم لهم فكرة تجول بهـــــم	بين المعاني اولانـك النجـب
و فرقة في القشور قد وقفوا	وليس يدرون لب مـا طلبـوا
لا غاية تنجلـي لنـــا ظرهـم	منه ولا ينقضـــي لهـــم أرب
لا يتعدى امـــرؤ جبلتـــــه	قد قسمت في الطبيعة الرتب "[31]

"ومما امتاز به التصوف المغربي أن معظم رجاله ودعاته من اهل العلم بأصول الدين وفروعه ولذلك فهم يعرفون كيف يكيفون آراءهم وقلما تجدهم مصطدمين مع العلماء كما وقع في المشرق العربي، وما وقع من اضطهاد بعض الصوفية إنما كان لاسباب سياسية محض، و التصوف المغربي إلى جانب الفقه المالكي له الأثر الفعال في توجيه كل الأفكار و السياسات التي جرت في بلادنا، فالفقــه و التصوف عنصران اساسيان في تكييف المجتمع المغربي وتسييره"[32]

وهذا حق وصدق فإبراهيم بن إسماعيل بن وجماتيق الرجراجي،ومحمد بن يوسف الرجراجي المصري وعبد الرحمان بن محمد الرجراجي الأندلسي وأبو عبد الله محمد بن ياسين ويحيى المليجي الرجراجيان وعبد السلام بن مشيش وأبو محمد صالح وعبد القادر بن أبي جيدة الفاسي اليسوا كلهم علماء ومتصوفين ؟.

نماذج رجراجية متصوفة في هذا العهد:

ومن متصوفة رجراجة ومجاهديهم وعلمائهم في هذه الفترة نذكر: أبا إبراهيم إسماعيل ابن وجماتق المتوفى سنة 595هـ وهو من هو، وإبراهيم الرجراجي السوسي، وابا عبد الله من اهل تالمغت وابا محمد خميس بن أبي رزق (رزج)، وله ترجمة في التشوف والسيف المسلول تليق بأمثاله توفي سنة 617هـ .

ومحمد بن ياسين الرجراجي المراكشي دفين المواسين بمراكش سنة 571هـ ومحمد بن يوسف الرجراجي المصري، وقد ترجم له ابن حجر في (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) وقال إنه كان من المقربين للملك قطز، وتولى التدريس بالنظامية، وعبد الله المليجي الرجراجي وعبد الرحمان بن محمد الرجراجي الأندلسي قاضي استيجة، كان شيخا متحققا شديدا في احكامه، وجرى بينه وبين ابن رشد ما جرى كما يقول ابن الآبار في الذيل والتكملة، وعبد الرحمان بن إلياس الرجراجي دفين شيشاوة ، وعيسى بن محمد بن العاطي حفيد سيدي عبد الله بن واسمين دفين أربعاء النعيرات ويعرف بمول العهد أو مول الوتد" وسعيد بن ميفوناس الرجراجي الأغيسي جد أبي عبد الله محمد بن ياسين ويحيى المليجي و كان من الابدال، دفن برباط شاكر حسب وصيته، ويلاسيف بن يعديون توفي قبل 617هـ ، ومسعود بن عبد الرحمان السعيدي الرجراجي ، وموسى ابن الحاج الرجراجي الأسود وهذه نماذج فقط، ومن أراد الاستزادة فليرجع للمراجع التي اعتمدناها، خاصة: السيف المسلول، والتشوف، والياقوتة الوهاجة.

حينما ضعفت الدولة

بتولي الوطاسيين وهم وزراء المرينيين دب الوهن و التردي رغم ما بذلوه مما أوصل الدولة إلى ضعف عام كانت نتيجته الانقسامات واستبداد الحجاب للاستيلاء على الحكم من خلال مبايعة ملوك أطفال أو رجال قليلي الخبرة والتجربة، فنشأ عن ذلك :

1 - انقسام البلاد واضطرابها وسادت فيها الفتن و التطلعات اللامشروعة.

2 - القضاء على دولة الإسلام بالأندلس، إذ غادرها آخر ملك مسلم وهو عبد الله بن الأحمر سنة 1492/898، و من الغريب أن هذه السنة هي التي اكتشف فيها كريستوف كولومبس القارة الأمريكية.

3 - استيلاء الأسبان على مليلية والعرائش واصيلا سنة 818 والبرتغال في السنة نفسها على سبتــة وانفا سنة 876هـ وطنجة في سنة 889 واسفي وازمور في 912، وبدأوا يوسعون نفوذهم على طول الساحل فعاتوا في بلاد رجراجة كما فعلوا في حاحا والسوس.

في هذا الظرف الحرج بل الحالك كان لا بد لرجراجة أن يتحركوا، وان العدد العديد من القباب المتواجدة سواء على الساحل أو داخل البلاد لتشهد بذلك الجهد المضني الذي بذلوه في استرجاع المراسي وطرد المغيرين، والمحافظة على حماس المجاهدين وتعليم المواطنين والوقوف بجانب كل من يبغي إنقاذ الإسلام والمسلمين بالمغرب.

ويجب أن لا ننسى شيخا كان له دوره ساعتها هو سيدي محمد بن سليمان الجزولي الذي طوف بالبلاد ليستقر ببلاد رجراجة /الشياظمة بافوغال (قبيلة الدرى).

بعد ما طرده صاحب آسفي وبقي بها إلى أن مات سنة 870/1465 وقد اجتمع عليه من المريدين اثنا عشر ألفا وستمائة وخمسة وستون 12665، وقد تتلمذ الشيخ الجزولي على الشيخ سعيد. الهرتاني الذي تتلمذ على الشيخ ابي زيد عبد الرحمان بن إلياس السالف الذكر الرجراجي دفين شيشاوة، فهو تلميذ لابي زيد الرجراجي بواسطة، وقد قال بن عسكر في دوحته:" أن أبا زيد عبد الرحمان ابن إلياس هو المعروف عند العامة بأبي زيد والياس، وقبره بوادي شوشاوة، وقد انتهى أمره إلى القطبانية" [33]

وفي مرآة المحاسن والممتع أنه أقام بحرم الله عشرين سنة، وأخذ طريق التصوف عن أبي الفضل الهندي عن الشيخ عنوس عن أبي العباس القرافي عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهــم ومن طريقه تروى الطريقة الشاذلية، فالشيخ الكبير سيدي محمد بن سليمان الجزولي يرويها عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله أمغار الصغير عن أبي عثمان سعيد الهرتاني عن المترجم. [34]

وليتصور المتصور هذه الحلقة من المتصوفين أصولا وفروعا التي تبتدئ من شاكر إلى أبي عبد الله امغار، إلى أبي محمد صالح، إلى إسحاق بن إبراهيم الرجراجي، إلى علي بن أبي علي الرجراجي إلى عيسى مول العهد الرجراجي بأربعاء النعيرات إلى أبي خميس، إلى أغمات إلى نفيس عن طريق أبي زيد عبد الرحمان فرباط شاكر وما تضمه داخلها من كمل الرجال و أكابر القوم.

ومجاهدون ءاخرون و متصوفون.

وقد ظهرت في هذه الظروف البنيسة شخصيات نادرة،وفحول وضعوا أرواحهم على أكفهم واستقبلوا المعارك درءا للمخاطر ،وتحرير الوطن، وفداء للدين، ونجد من بينهم: الشيخ محمد بن باعزي البطريطشي السعيدي الرجراجي وولده سيدي محمد فتحا بجمعة اسحيم وسيدي علي ابن أحمد بن حسين بن كرارة قرب آسفي، وسيدي علي بن أبي علي الذي تبتدئ منه مواسم رجراجة ، وكانت له زاوية كبرى بآسفي أفسدها البرتغاليون كما كان شيخا مربيا وله أصحاب واتباع وزوايا أخرى، وعزيزة بنت إبراهيم السكسيوية الرجراجية وقد قال عنها ابن الخطيب القسمطيني ما قال، وسيدي إسحاق دفين شاطئ البحر بالساحل الرجراجي ، وغيرهم كثير وكثير.[35]

بطولاتنا دمرت المخطط المسيحي الغربي.

ملاحمنا وانتصاراتنا ضد المد الصليبي هي التي أرثت الحقد الاستعماري الغربي وجعلت دوله تتحين الفرصة إثر أختها حتى وقعت عليها في لجوء المتوكل إلى البرتغال فتداعت الجيوش الأوروبية بتوجيه مادي ومعنوي ووعد بغفران الذنوب من جانب البابا الصليبي من أسبانيا والبرتغال وإيطاليا وألمانيا وسواها لتهاجم المغرب بغية إلحاقه بالأندلس والنفاذ منه إلى العالم الإسلامي الشرقـــي وافريقيا الإسلامية فكانت معركة وادي المخازن التي ترتب عنها سقوط البرتغال البادئة بالعدوان من دولة قوية إلى أخرى لا وزن لها ولا تقدير.

ومن الغريب أن لا يرى الغربيون في بطولاتنا إلا نوعا من الرعونة والهمجية، فقد جاء في كـتاب (الحضارات الإفريقية): "ولكن المغرب زاغت عن صوابها عندما أبعدت الأسبان والبرتغاليين في أواخر القرن السادس عشر، فانغرس فيها الحقد الديني كما انغرس من قبل على سواحل الجزائر وتونس بين أهلها والأتراك، فانقطعت الصلة وأصبح البحر جحيما"[36] ولست أدري كيف يسمح الغربيون لأنفسهم خاصة هؤلاء المفروض فيهم أن يكونوا نزهاء، الكذب على الحقيقة و الادعاء الصارخ و التجني المفضوح، إما تعمدا و إما جهلا بحقائق الشعـوب و نفسيات الناس بها، ففي كتاب الحضارات الإفريقية كذلك ما يلي: ومع الفتح العربي احتل الإسلام بلاد البرابرة فاسلموا، و لكن نفوسهم لم تتحول عن بعض ما ألفته، فذكريات دينهم السابق استمرت تحيي طقوسهم التي نشأوا عليها، و لا سيما نار أطول نهار في السنة (DETE SOLSTICE) يشعلونها في أربعة و عشرين حزيران في الريف، و هي نار جرت العادة أن يقفزوا من فوقها ، أو في ذكرى عاشوراء، التي كانت تدوم مدة الأيام العشرة من الشهر الأول محرم، و هو عيد رأس السنة الجديدة، عيد الأولاد، و عيد الموتى أيضا، والسحر ورقية الحب هما حيان حتى اليوم، و أينما سرت في هذه البلاد تجد الاعتقاد بفعل العين الشريرة (الإصابة بالعين) يحملونها تعويذة بشكل خمس أصابع ممدودة[37]

و في العهد العلوي:

يقول الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله في حديثه عن التصوف في المغرب: " إن من ابرز مظاهر التصوف الحقيقي في المغرب إقرار التسامح والسلام في المجمتع ومد يد العون و المساعدة بالإمدادات لتخفيف و طأة البؤس و الألم، فهنك مذهب صوفي مغربي يرجع الفضل في وضع أسسه و نشر دعوته لرجل من أهل القرن السادس الهجري هو أبو العباس السبتي و كان لدعوته الأثر الفعال في تأسيس الزوايا في مختلف أنحاء المغرب إذ كان ياوي العجزة و الفقراء والطلبة فيجدون الطعام والفراش، وقد تنافس الصوفية في هذه المظاهر الاجتماعية و الإنسانية"[38]

و قد يكون المرء صادقا إذا قال إن هذا النوع من التصوف هو الأكثر تطبيقا في العهد العلوي ووراء ذلك أسباب في نظرنا.

1- أن النموذج الشاذلي بأدعيته وأوراده و طقوسه لم يبق هو السائد وإن ظهر في أسماء أخرى

2- أن زوايا عديدة بأطقمها وأورادها والمدافعين عنها باللسان والقلم ظهرت بشكل جلي وقوي كالناصرية والتيجانية التي اكتسحت الساحة اكتساحا غريبا ووصل إشعاعها ومبادئها إلى أفريقيا فغزت الكثير من أقطارها ، وكالعيساوية والحراقية والفاسية وغيرها.

3- أن التصوف المقترن بالجهاد لم يعد له من مكان خاصة بعدما قعد المولى إسماعيل قواعد الزوايا وتابعيها وأحدث جيشا نظاميا جبارا أغنى عن كثير مما كان تتبعه الجيوش وفيها العديد من الرؤوس المسؤولة والكثير من المتطوعين.

4- أن الحروب لتحرير المدن أصبحت خاضعة لتقنيات أقل ما يلاحظ عليها أنها بدأت تهتم بالرأي العام الخارجي ولو في حدود.

ولم تكن الناحية الرجراجية بدعا في هذا المجال، فإن زواياها تأثرت بدعوة هذا الشيخ أو ذاك، وقد تجد الزاوية الواحدة وبها طائفتان كل واحدة تابعة لشيخ، فاقتصر الأمر كله على الذكر ودراسة القرآن والعلم وإطعام الطعام والتعامل بالحسنى وإكرام الضيف والوقوف في وجه الظالم، والأمر بالصبر والتعاضد إلى غيرها

هذا هو الإطار العام، ولكن كانت هناك نماذج رغم صوفيتها العالية لم تنأ بنفسها بعيدا وتطلق الحياة العملية بل شاركت في الحياة السياسية، بل وجدنا الملوك العلويين يقدرون قدر تلك النماذج، ويعرفون لهم فضلهم وعملهم.

وكان هناك نوع آخر من الصوفية المجتبين،ولم تخل زاوية من الزوايا من نموذج أو أكثر. الذين يشاركون الناس في بعض أعمالهم اليومية ولا يشاركونهم في أكثرها ، بل لهم حياتهـــم وتعاملهـم وعبادتهم التي لا تؤقت ولا تقدر بمقدار، ومنهم من كان مستجاب الدعوة يخبر بالمغيبات، ومنهـم، ومنهم.

ولم يقتصر الأمر على المتصوفين الرجال بل كانت هناك سيدات خيرات عابدات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله.

وبما أن العدد كبير جدا. فلنأت ببعض النماذج كنماذج:

1- الشيخ محمد بن حميدة مؤسس زاوية بن حميدة بجنان الرمان الرجراجي السعيدي.

كان هذا الشيخ قطبا من الاقطاب الناصريين، وكانت له أوراد خاصة وتعامل خاص سواء مع الدولة أو مع الناس عامة ، فهو الذي قدمه المولى إسماعيل على زوايا رجراجة كلها ولا يزال ذلك في احفاده إلى اليوم، وهو الذي قدمه الشيخ أحمد بناصر الدرعي للصلاة به بالزاوية الناصرية بتامكروت مرارا، وأمام العديد من العلماء كالشيخ اليوسي والشيخ شرحبيل الخليفة، وكأنما (انقبضت صدور بعض العلماء من إمامة هذا البدوي المجهول الحال، وكاشفوا الشيخ بناصر بذلك وأراد أن يبين لهم منزلة الرجل المزدرى به في نظرهم فسأله بمحضرهم: يا سيدي محمد (فتحا) إنك تقيم الصـــلاة وتتأخر في تكبيرة الإحرام، فأجابه الشيخ: يا سيدي إنكم والحمد لله صحاح الابصار وأنا لا أراها إلا بالتـــي والتيا، فرد عليه الشيخ بناصر، و ماذا ترى يا سيدي محمد، فأجاب : بيت الله الكعبة، لااكبر إلا إذا رايتها[39]) توفي تقريبا سنة .1142-1729

2- الشيخ علي بن عبد الله الكراتي الرجراجي

كان رضي الله عنه أميا و يصلح ما فسد للطلبة في الالواح، وإذا سئل في ذلك يجيب بأني رأيت نوره ناقصا: وهو أول من أتى بالطريقة العيساوية الشادلية لبلاد رجراجة وكان المولى سليمان العلوي يعتقده كثيرا ويطلب منه الدعاء ، توفي سنة .1223

3- الشيخ عبد الله بن عمارة البوعزاوي الرجراجي

هذا الرجل بدوره هو أول من أتى بالطريقة التيجانية إلى الشياظمة من فاس حينما استقدم أستاذا بزاوية بن حميدة، وكان بالمحل الأسنى وهو شيخ كبير من أخيار هذه الزاوية

4- الشيخ عبد الله بن احمد الرجراجي القرمودي.

كان إماما في العلوم العقلية والنقلية، صاحب أذكار عجيبة.

وصفه سيدي عبد الله الكدمي إمام مسجد الاشراف بمراكش ب " الحبر الهمام، خليفة السادات الأعلام، بدور الليالي و شموس الايام، ساداتنا رجراجة، أدام الله النفع بهم.

5- الشيخ محمد بن عمر الرجراجي القرمودي :

أستاذ مطلع حافظ للقراءات، عامل على نشرها و إذاعتها مدة أربعين سنة، و قد اشتهر بالصلاح.قال عنه الكانوني: " وكان رجلا ناسكا ،مكث أربعين سنة يقرئ القرآن و قد حفر قبره بيده و يتفقده في كل حين بالقراءة.

6- الشيخ عبد الله بن محمد بن البشير المقدم السعيدي الرجراجي.

ولد سنة .1894/1312

كان عالما فصيحا، قوالا بالحق متصوفا زاهدا ميالا إلى المهادنة واللين مع الحزم، ألف العديد من الكتب أبرزها السيف المسلول[40]

أوذي في القضية الوطنية الكبرى ونفي اثنتي عشرة سنة.

كان مقدما للتيجانيين وله فيهم توسلات.وكذا في سور القرآن والصحابة الكرام، كانت له محبة خاصة في الذات المحمدية النبوية، فنظم كذلك عدة توسلات وألف كتاب

(سلم القاصدين إلى حضرة أشرف المرسلين) وكان قصده من التوسل إلى الله في أن يلطف به وبالمسلمين والمغاربة والملك المنفي ، توفي في فاتح قعدة 1383-16 مارس 1964

وهذا نموذج من توسل له يقارب المائتي بيت .

لولاك يا خير الورى الأمــلاك	ما سبحت و لم تدر أفلاك
لولاك لا شمس و لا نجـــوم	لولاك لا رعـــد و لا غيـوم
لولاك ما خلق هذا البشــــر	لولاك ما أضاء هذا القمــر
لولاك لا اقطـــاب لا أوتـــاد	لــولاك لا غـوث و لا أفــراد
لولاك لا سالــك لا مجــذوب	لـولاك لا حبيـب لا محبـوب
لولاك لا قــرءان لا حـديـث	لا مخلوق قديم أو حـديـث
لــــولاك لا ارض و لا سمـاء	لولاك لا ناطـــق لا عجمــاء"[41]

7- الشيخ عبد الله بن حمزة الرجراجي الآسفي

هذا الرجل من اكابر الرجال و الأفراد، و العلماء العاملين، موسوما بالصلاح، له في الوهاجـــة و السيف ترجمة حافلة.

من كتبه (مجمع الأذكار الممحقة للذنوب و الأوزار بالهيللة و الاستغفار، والصلاة على النبي المختار صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله المحسنين الأخيار") جمع فيه اذكارا و أدعية و صلوات واردة عن رسول الله، وهي مائة صيغة. توفي يوم 25 شوال 1256هـ .

وهذا نموذج لصلواته:

اللهم جلله بإجلال عظمتك و كبريائك،وارفع سرادقات عزه فوق أنبيائك و أصفيائك، اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما في علم الله، صلاة دائمة بدوام ملك الله، لا إلاه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

اللهم افرده بكماله و بهائه، و اجعله الواحد في ابتدائه و انتهائه، اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما في علم الله، صلاة دائمة بدوام ملك الله لا إلاه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين"[42]

و هناك كما أسلفنا الكثير.

هوامش الفصل الثالث

15- المعسول ج. 11 ط4 المغرب.
16- المعجم التاريخي ص ، -43 مطبعة الجامعة/الدار البيضاء بدون تاريخ.
17- ابن أبي زرع- الاستقصاء+
18- السالك و الممالك عن السيف المسلول ج : 1 ط 1987/1407

19- المعجم التاريخي-مرجع سابق ص : 43
20- يقول الكانوني: "ويغلب على الظن ان من اسباب تفرق هذه القبيلة توالي الفتوحات المالية عليها وتعظم اهل المغرب اهلها" الياقوتة مخطوطة 1357 ص7 وهذا غريب نوعاما، فمن الممكن ان يغادر القبيلة للسبب السالف افراد عديدون يعدون بالعشرات، اما ان يرحل معظم القبيلة فامر فيه نظر كبير
21- أسس أخيرا الرجراجيون الرتنانيون جمعية اسموها (جمعية اكوز - رتنانة - ثقافية، تنموية شاملة، الصويرة القديمة)
22- المسالك و الممالك-مرجع سابق.
23- المسالك و الممالك-مرجع سابق.
24- انظر الفصل الخاص :ب الرجراجيون والسياسة.
25- واظهرالله المرابطين واعلى كلمتهم ففتحوا بلاد السوس واطلعتهم جميع قبائلها فاخرج عبدالله بن ياسين عماله(..) وفتح مدينة شيشاوة بالسيف ثم فتح بلاد نفيس واتاه قبائل رجراجة وحاحة فبايعوه" الأنيس المطرب-ابن ابي زرع، تحقيق الهاشمي الفيلالي ج1936/1355/2 المطبعة الوطنية- الرباط
26- الحضارات الإفريقية ص، 67- ترجمة نسيم نصر ذمنشورات عويدات- بيروت ذلبنان- سلسلة، زدني علما .
27- التشوف/المقدمة ص : . 34
28- نفس المرجع ترجمة ءامنة الدكالية.
29 - السيف المسلول ص، 14
30- العامل هو الاستاذ محمسن التراب المكناسي الرجراجي
31- المعجب/مرجع مسابق ص : 244 تحقيق محمد سعيد العريان و محمد العربي العلمي
32- التصوف الإسلامي بالمغرب لعلال الفاسي ص : -20مؤسسة علال الفاسي.
33- انظر السيف الجزء الثاني.
34- انظر السيف الجزء الثاني.
35- انظر السيف الجزء الثاني.
36- الحضارات الإفريقية مرجع سابق: ص، 187/67
37- الحضارات الإفريقية مرجع سابق: ص، 187/67
38- العلم بتاريخ 29 رمضان 1417- 7/2/97- س 51. عدد: 17087
39- السيف السلول ج:2.
40- الصوفية فهموا لن عليهم لن يسجلوا حركتهم ففعلوا، وليس اكثار بن عجيبة من التاليف الا مظهرا لهذه الظاهرة، وهذا مولاي العربي الدرقاوي نفسه، وهو لم يكن من العلماء، جمع رسائله فجاءت تاليفا ممتلئا بالحياة والحكمة- عن مقالة احمد زيادي (حواشي التهامي الوزاني على تاريخ تطوان) ص: 85 عن كتاب: (التهامي الوزاني الكتابة-التصوف-التاريخ) ندوة اتحاد كتاب المغرب-تطوان- 17-18-19 ابريل1987
41- انظر كتابنا المرقون ، جولات في حياة الفقيه الشيخ عبد الله بن محمد المقدم السعيدي الرجراجي
42- انظر هذه التراجم في السيف المسلول ج : 2 مرجع سابق. وتتوفر خزانتنا على نسخة خطية لهذا الكتاب بدون تاريخ ولاندري ان كانت بخط المؤلف ام لا كما نتوفر على نسخة منه كذلك بخط الوالد رحمه الله.

الفصــل الرابـــع

الرجراجيون و السياسة.

رغم أننا رددنا مرارا أن رجراجة لم يكن لهم تشوف كبير للسلطة بقدر ما كان لهم الدين بغية الحفاظ على أمنهم واستقلالهم داخل مدهم الجغرافي إذ لم يعاركوا من أجلها ويحاربوا كما فعل ءاخرون في زواياهم التي لم تكن لها سلطة توازي سلطة زوايا الرجراجيين سواء الدينية الجهادية أو السياسية بمفهومها العام.. إلا أن هذا الحكم لا ينسحب عليهم في كل حال و ظرف فإنهم كثيرا ما امتشقوا السلاح الديني وفي ثناياه تكمن السياسة بكل تجلياتها فالإسلام لا يفرق بين السياسة والدين

وقد تعرض الرجراجيون لمأساة التقتيل والنفي و التعذيب كما فعل بالشرفاء الادارسة وكما فعل بكل شريف نابغ صامد منذ عرف الوجود النبوغ والصمود

ولقد أشرنا إلى ذلك بما نرى أنه يكفي في دراسة مختصرة همها الأول والأخير التعريــف وإلقاء بعض الأضواء للمتسرع أما التفاصيل فلها مراجعها.

مع المرابطين و الموحدين:

أما في عهد المرابطين حيث ظهروا قوة بديلة موحدة، فإن علاقة الرجراجيين مرت معهم في مد وجزر ولكنهم لم يقطعوا معها الأواصر ويحملوا السلاح في وجهها فإنهم تجندوا معها وحاربوا في صفوفها، وكان منهم بعض القادة الذين تقدموا الصفوف ولا نظن أن ذلك كان رغما عن أنوفهم أو خشية تهديد وتقتيل وتشريد.

ورغم أننا لا نجد الكثير مما يدلنا على أن العلاقة بين الدولة والرجراجيين كانت في غاية السوء، فإن بعض النصوص المتوفرة لحد الآن تعطي الكثير:

أ- يقول أبو بكر البيدق في أخبار المهدي بن تومرت: " وفي القرن الخامس الهجري انضمت قبيلة رجراجة للمرابطين وفقدت استقلالها السابق، ثم خضعت مرغمة للموحدين، فكانت من القبائل السباقة إلى الثورة عليهم بقيادة ابن هود الماسي سنة 542هـ ، لذلك عوملت بقسوة شديدة من طرفهم"[43]

ب- يقول ليون افريني وهو يتحدث عن المرابطين " فبعد ما أخضعوا بسرعة حاحة وركراكــة وصلوا إلى تامسنا حيث اصطدموا بالمقاومة المصمودية"[44]

ونكتفي بهذين النصين لنقف فيهما على الكلمات المفتاح:

فقدت استقلالها السابق- خضعت مرغمة-أخضعوا -إلى الثورة -

ولا مجال للنقاش في أن الكلمات صعبة و كبيرة و موحية

فلماذا فقد الرجراجيون استقلالهم بعد انضمامهم للمرابطين؟ وكلمة انضمام تدل على أن ذلك كان عن طيب خاطر أو بدون قوة على الأقل؟

و لماذا أخضعوهم ؟ وهذا الخضوع و الفقدان للاستقلال لا بد أن ينشأ عن حالة غير مستقرة وعن تململ ظاهر اتخذت له الاحتياطات اللازمة ؟

و لكن لم كان التململ من الاصل و رجراجة يتوقون لنشر الدين و توحيد الكلمة ؟

فهل رفض الرجراجيون الحرب مع المرابطين ضد برغواطة ؟ لا نعتقد فإن من كتبوا عن المرحلة جعلوا الرجراجيين على راس من تصدى لأكاذيب البرغواطيين و تدجيلهم ؟

هل عاملوهم معاملة الفاتح للمفتوح فأرادوهم أن يكونوا ظلا لهم مع انهم مسلمون ؟ هل تخوفوا من دعوتهم و رباطاتهم المنتشرة التي بدونها ما كان للمرابطين ان ينجحوا النجاح الذي عرفه التاريخ؟ هل طمعوا في خيرات بلادهم و كانت ذات استقرار و غنى و مدنية بحسب الظرف و الإقليم ؟

هذه الاسئلة التي قد تتناسل حتى لا يبقى لها حد، كلها تصب في اعتقادنا في جواب واحد و هو خوف المرابطين مما كان لرجراجة من سمعة جيدة و جهاد مستمر واستقرار في ناحيتهم معــروف و كلمة ملباة عند قبيلتهم و خارجها.

و لا بد من الإشارة إلى موقف آخر و هو موقف العالم الرجراجي عبد الله المليجي الشوشاوي، كان هذا العالم باغمات، و لم يكن من العلماء الضيقي العطن فعاشوا منكمشين على أنفسهم و لم يسمحوا بهواء جديد يهب نحوهم فورطوا الحكم في جملة من القضايا أهمها: إحراق كتاب(إحياء علوم الدين للغزالي) كان للإمام عبد الله المليجي موقف واضح في قولته الخالدة و هو يسمع الخبر " و الله لا افلح هؤلاء الأشقياء "، و سواء قصد النظام المرابطي المتمثل ساعتها في علي بن يوسف بن تاشفين أو الفقهاء المفتين بالحرق فالمهم هو الموقف، وهذا كان موقف صديق له عالم رجراجي المعروف بلبي بحر البلخي الساكن بدوره باغمات فإنه استعظم الامر غاية، وسأل عن أولائك الذين أفتوا بحرق الإحياء فما ذكروا له أحدا إلا دعا عليه فما مر عليهم شهر من الزمان حتى لم يبق أحد من أولائك المفتين، وماتوا على أسوأ حال وعرفوا بأنواع العقوبات" [45]

وهذا العمل من الإمام المليجي زكاه موقفه من علي الملك: " وجاء السلطان من مراكش إلى أغمات أوريكة فزار عبد الجليل بن ويحلان وعبد الله المليجي و بعث إلى كل منهما الف دينار ، فأما عبد الجليل فأخذه و تصدق به على المساكين، و أما عبد الله فرده عليه "

ونكتفي بهذا لننتقل في عجالة إلى الموحدين لنستكنه هذه النصوص

يقول دونيز بولم "denise Paulme" ولكي يصحح الموحدون الاخلاق المسترخية في أحضان المدنية الاندلسية، و لكي يصححوا التعليم بوحدانية الله، أسقطوا دولة المرابطين وعندما أهمل الموحدون الدور الديني في الدولة انفصل عنهم بنو مرين ، و اغتصبوا منهم المغرب ، و كما أن المغرب دخلت في سلطة الموحدين باسم التصحيح الديني فكذلك خرجوا منها و هي عاصمتهم- باسم تجديد الإسلام" [46]

يقول ليون فريني: "ما كان انتصار المرابطين أن يصبح ممكنا لولا عدم اكتراث

باقي قبائل المجموعة المصمودية و خاصة منها قبيلة ركراكة، و فقا لنزعة ما زالت تميز البربر، كذلك كان عليهم بدورهم أن يؤدوا، فيما بعد، غاليا ثمن لامبالاتهم"[47]

و يقول: "و مهما كان الأمر فإن الثورة اشتعلت من **1147** إلى **1149**م من الشمال إلى الجنوب سواء في حاحا أو لدى ركراكة و دكالة، و كان قمع الثورة رهيبا، فقد دخلت جيوش الموحدين في حرب عاقبت خلالها بالتتابع ركراكة ودكالة و هسكورة و منطقة تادلة، و مع ذلك فإن هذه الحملات التأديبية لم تبد في أعين عبد المومن كافية، و لذلك قرر من أجل إرساء سيطرته و إرساء الإيمان بقاعدة التوحيد القيام بعملية تطهير شاسعة، فبناء على لوائح مهيأة مسبقا بعناية، تم ببرودة إعدام **37720** ضحية من بين ساكنة مصمودة السهل، مما جعل حدا لكل إمكانية خارجية للنهوض من جديد"[48]

و إعدام قرابة اربعين الفا من أعيان أربع قبائل ليس بالسهل و لا بالمقبول و لا حتى بالمبرر إلا إذا بررته القوة و السلطة بمنطقها المعروف.

و إذا أضفنا كلام الناصري عن ثورة بن هود حيث "أخذ بدعوته أهل سجلماسة ودرعة و قبائل دكالة و رجراجة... فسرح إليهم عبد المومن عسكرا من الموحدين"[49] إلى هذا الذي نقلناه إلى ما رايناه لابن عذاري أدركنا المحنة التي كان فيها الرجراجيون ايام الموحدين خاصة في اول نشوئها خاصة في أيام أول سلطان بها وولده يعقوب يوسف.

فمن أين جاء الخلل بين الموحدين و الرجراجيين حتى ساهموا في ثورة بن هود تلك الثورة التي كادت تذهب بالدولة الوليدة حتى لم يبق لهم إلا العاصمة كما قالوا ؟

هل من مذهبهم الذي يخالف مذهب الرجراجيين السني ؟ [50]

لماذا عاملوهم بقسوة متناهية و ضيقوا عليهم في الزرع والضرع حتى صيروهم ضيعة لهم للضرائب و الجبايات ؟

لماذا طال هذا الجفاء بين الدولة الموحدية ورجراجة رغم أن الناحية كانت لها إسهاماتها العلميـــة و الصوفية و الإنسانية و الاقتصادية التي أشرنا إليها في غير هذا المكان ؟

هل يدخل تعدد الرباطات الكثيرة وأصحابها الصوفيين وسمعتهم المحترمة في ذلك ؟

هل كان العلماء الرجراجيون في طليعة المنتقدين للرخاوة الموحدية و لو في أيامها الأخيرة وتعسفات السلط المختلفة ؟

هل هذه الأسباب كلها أو بعضها على الأقل هي التي كانت وراء الموقف الرجراجي بل غذتـه و بلورته حتى كان أصحابه على رأس قائمة مؤيدي المرينيين ؟

علاقة المرابطين والموحدين بالمتصوفين:

من خلال ما نشر قديما وحديثا حول هذا الموضوع يظهر أن العلاقة عاشت في توتر دائم أدى في احايين كثيرة إلى ما لم تحمد عاقبته، إذ كان المسؤولون في الدولتين ينظرون إلى المتصوفين، أو على الأقل ، إلى الكبراء منهم، نظرة الشك والريبة والعداء الداعي إلى العقوبة المادية والمعنوية، ولعلهم كانوا يطبقون نظرة المعز صاحب

القيروان، حيث كتب للعالم والزاهد محمد بن عبد الصمد الذي كانت له في قلوب الناس منزلة خاف منها المعز الحاكم : "إن أهل الزهد والوعظ، وتأليف العامة وإقامة المجالس، اضر الاصناف على الملك، واقبحهم أثرا في الدول، فيجب أن يتدارك أمرهم ويحسم الاذى منهم... ففهم عبد الصمد انه قصد بذلك" [51]

إن العلاقة السيئة جدا بين الدولتين والمتصوفين نشأت عن تصرفات غير مسؤولة تجلت في عدة مظاهر منها ما هو أساسي ومنها ما هو ظرفي ثانوي ولكنه فاعل فبالنسبة للمرابطين:

1- إن الدولة المرابطية ضيقت الخناق على العديد من المتصوفين الكبار وخنقت انفاسهم وفرضت عليهم مراقبة وقيودا وصلت في بعض الأحايين إلى الزج في غياهيب السجون كما وقع لابن الأصم وغيره

2- عملت على استمالة الصوفيين عن طريق التضييق من جهة، والإغراء من جهة أخرى، وبذل الملل والعروض من جهة ثالثة الشيء الذي دفع بعلي بن يوسف كما اشرنا لذلك، لزيارة اغمات وإغداق الأموال على عبد الجليل بن ويحلان وعبد الله المليجي الرجراجي وغيرهما دون أن يظفر منها بما يريد لانه كان يريد التخفيف من تاثير حرق الإحياء للإمام الغزالي.

3- هذه السياسة التي عرضت كثيرا من المتصوفين للعنت والإذاية ركزت التباعد الكبير بين الدولة وبين هؤلاء الذين لهم وزنهم ومكانتهم داخل المجتمع خاصة حينما ينقل المتصوف من مكان إقامته إلى العاصمة مراكش للامتحان جراء وشاية من حاسد، أو انتقام من معاند، أو توجس بعيدا عن الحقيقة والمجال.

4- إتباع سياسة لوحظ فيها بعض العنصرية، وإن كان أثرها ظل كبيرا في الدولة الموحدية التي لم تكن مصمودية والتي أسمت انصارها موحدين.

5- إن هذا التطرف في حق اناس وجهتهم الاولى تعبدية وأخلاقية كان من أسباب التعجيل برحيلها وهي ما تزال في طراوة الشباب دونما شك.

واما بالنسبة للموحدين فإن الامر كان أخطر بكثير، إذ تدخلت مصالح وقوى وحسابات ضيقة وتصرفات مشينة، وتمكن الاشارة إلى :

1- أن المتصوفين لم يكونوا راضين عن الدولة الجديدة وعن تصرفاتها خاصة في عهدها الأول أيام عبد المومن وولده وحفيده اللذين رأوا أن المتصوفين داء وبيل ، وقنبلة موقوتة تنتظر المناسبة لتنفجر فتفجر الدولة وخاصة بعد الثورات التي اندلعت هنا وهناك، وفي مناخ جد سيئ بالنسبة للسلطة الناشئة والقائمين عليها وكان لهذا الأمر تأثيره المباشر على موقف الخليفة من المتصوفة بحيث اضحت الحيطة والصرامة، والتنافر والتباعد من سمات سياستة تجاههم، فالمراقبة الرسمية لنشاطات بعض المتصوفة المشهورين تدخل في إطار قمعي شامل استعمله الخليفة الموحدي لتنحية الانشقاقات السياسية والثورات التي تبعت الاستيلاء على عاصمة المرابطين مراكش، وثورة ابن هود، ووصل القمع درجته القصوى مع ما يعرف بعملية (الاعتراف) الدموية التي قام بها عبد المومن سنة 544هـ-1150م لاستئصال المعارضين والعناصر

المشكوك في ولائها في مختلف القبائل الخاضعة للموحدين[52]

2- ان القهر الذي سلط على عيون من الصوفيين الكبار وفي مختلف مناطق الامبراطورية، وسع الهوة بين الدولة وبين الشعب مما جعل الدولة دائما متاهبة قلقة حذرة متوجسة مما كان له الاثر السيئ على الأوضاع بعلمة، وإن كانت تبدوا غير ذلك بالنسبة للإنسان العادي.

3- ان النماذج التي تعرضت لبطش عبد المومن ومن جاء بعده وعمالهم وولاتهم كان يمكن ان تكون في جانب الدولة لوعولجت الأمور بتدبير متقن وسياسة التاني والانضباط النفسي وعدم الانصياع للموثورين والمهووسين.

وهذه أمثلة :

-عبد الجليل بن ويحلان وهو من متصوفة اغمات استدعى لجبل إجليز، فلما اعتذر للرسول بالمرض قال له : لا بد من النهوض ولو حملناك على نعش وكان ذلك وقت الظهر، فطلب ان يؤخر إلى وقت العصر، فلما كان وقت العصر خرجت على الناس جنازته رحمة الله عليه[53] وكان الهدف طبعا من استدعائه معروفا.

-ابو شعيب ايوب السارية نكل به واشخص إلى مراكش مهانا وامتحن، وفعل كذلك بأصحابه ما فعل: ويبدو أن السلطة الموحدية لم تغض الطرف عن نشاطات ابي شعيب ايوب، ووضعته هو واتباعه تحت المراقبة الشديدة بل لم تتورع عن التنكيل بهم في بعض الاحايين كما يستشف ذلك من موقف والي أزمور اتجاه هذا الوالي، فقد (أمر الوالي يوما بإحضار جماعة للقتل ففزع الناس إلى ابي شعيب، فأخذ في البكاء فقال لهم والله ما ابتليتم بهذا إلا من اجلي، ولو مت لاسترحتم مما نزل بكم)[54]

-أبو يعزى وما ادراك ما هو- أشخص إلى مراكش مرتين وموَرست عليه ضغوطات حتى يلين، وعدت أنفاسه وسجن في صومعة مسجد أياما ذوات العدد وليس معه ما يقتات به إلا أقراص من دقيق البلوط كما في التشوف، وفي كتاب الفقيه أحمد التادلي الصومعي " المعزى ،في مناقب الشيخ أبي يعزى " العجب العجاب.

-أبو ابراهيم اسماعيل الخزرجي الذي قيد وسجن في مطمورة عميقة عقب إلقائه خطبة وعظية يوم جمعة لم ترق العامل الموحدي وقل مثل ذلك في الشيخ أحمد أبي الحسن علي ابن حرزهم الذي سجن بمدينة فاس[55]

-أبو مدين شعيب بن حسين الانصاري الإشبيلي النازل ببجاية أمر بالاشخاص إلى مراكش فمات وهو في الطريق ودفن خارج تلمسان عام 594 او 588 هـ، وهو العارف بالله الذي "خاض من الاحوال بحارا، ونال من المعارف أسرار"[56]

-القاضي عياض وهو من هو ألم يحمل من سبتة بعد ثورته على الموحدين. ويغرب في مراكش بعدما ذاق من العذاب ألوانا طيلة سفره ؟

ألم يغتل فقالت فيه الامة المغربية(سم ابن العربي وخنق اليحصبي) ؟

ألم يكن هناك من حل غير الخنق لرجل قال عنه المغاربة (لولا عياض ماذكر المغرب) وقال عنه المشارقة: "لولا الشفاء لعياض ما عرف المغرب بالمشرق

هل هناك من دناءة فوق ادعاء أن الرجل سمه يهودي لانه لا يخرج يوم السبت ؟

أليست هذه ومثيلاتها إدانة صريحة للحكم الموحدي ؟

4- هذه السياسة دفعت ببعض الفقهاء والمتصوفين الذين لهم ذكر ومكانة إلى الانضمام إلى الثوار كما فعل أبو محمد تليجي بن موسى الدغوغي الذي شارك في ثورة عتاب على أبي يعقوب يوسف، فقد جاء في التشوف: "قال داوود، وحدثني أبو محمد قال: طلبت في ايام عتاب طلبا شديدا

ولو وجدت لقتلت ، ثم قال: وكان واعظا برباط شاكر في وقت لا يصعد منبر جامع شاكر إلا الآحاد"[57]، ومثله الصوفي أبو وازغار بن علي المشتراني الذي ترك المغرب فارا إلى المشرق بعدما طلب أصحاب عتاب وكان منهم.

5- يذهب البعض إلى أن الموحدين مارسوا الاغتيالات والتصفيات الجسدية لبعض رموز التصوف ومنهم أبو عبد الله محمد بن الاصم الذي قتل عام 542 هـ وهو يتعبد.

6- وهذه النماذج غير رجراجية، فهل نفهم من هذا أن الرجراجيين سلموا من العسف والاضطهاد ؟ بالعكس ، وحتى لا نطيل ناتي بنموذج واحد هو:

-أبو إبراهيم إسماعيل بن وجماتيق الرجراجي الذي له ذكر وأي ذكر، وقد كان حاملا راية العصيان في وقت بدأت فيه الشدة الصوفية تلين ايام يعقوب المنصور

ومع ذلك فنحن لا ننفي وجود نماذج ظلت على مقاطعتها المبدئية للحكم ولأعطياتهم، وتتحاشى لقاء رموزه، بل ولجأت إلى التطرف وانتقاد الموحدين علانية الامر الذي جعلهم موضوع متابعة وملاحقة، وتم الزج ببعضهم في السجون، هذا هو حال ابي إسماعيل بن وجماتق الرجراجي المتوفى سنة (595هـ-1198م)، فابن الزيات يخبرنا أنه بعد صلاة الجمعة في مسجد قرية أجوز من بلاد رجراجة قام هذا الولي يعظ الناس بحضور العامل مما أثار مخاوف الأهالي،" فتكلم في حق العامل بكلام خاف منه الناس على انفسهم، فخرجوا من المسجد كلهم وخرج العامل من المسجد" وما لبث أن تم اعتقاله" وحملوه إلى السجن وقيدوه، وجعلوه في مطمورة عميقة(...) وامر الكاتب من يكتب فيه كتابا إلى حضرة مراكش"

أما رباط شاكر وهو الرباط الذي ذاع صيته في العالمين بما كان يحضر في موسمه كل رمضان، بل وفي الأيام العادية من متصوفين ومتصوفات وأصحاب الشان فلم ينج بدوره من التنكيل والعقاب حيث أصبح ءاخر القرن السادس الهجري يشكل مركز اصطدام حاد بين الاولياء والمريدين من جهة، وممثلي السلطة الموحدية من جهة أخرى" حيث استغل الموحدون ذلك لخنق الرباط وتحييده بشكل عنيف باعتباره بؤرة محتملة لمعارضة سلطتهم"[60]

ولعل هذا وغيره كثير في حق الرجراجيين بدورهم هو الذي دفع بالقائد محمد بن عبد الكريم الرجراجي لمحاولة تكوين إمارة رجراجية بالمهدية أواخر القرن السادس الهجري وطرد عمال الموحدين وتبعهم حتى تونس، ولكن ظروفا أخرى منها تعاون الثائر يحيى الميورقي وأبي زيد بن أبي حفص بن عبد المومن وقلة الخبرة جعلته ينهزم بعدما تلقب بالمتوكل على الله وألف جيشا وحارب وانتصر.[61]

هذه وقفة موجزة حول التصوف زمن المرابطين والموحدين، ويظهر من خلالها أن الدولة لم تكن ودا خالصا ولا حتى متوسطا للمتصوفين، رغم أن الصورة بدأت تتبدل بعدما ارتقى العرش يعقوب المنصور حفيد عبد المومن، أما بعد نهاية الدولة الموحدية، فقد انضافت مشاكل أخرى كان لا بد فيها من تدابير أخرى.

بين المرينيين و السعديين:

لعل الأسرة الحاكمة التي لم يشب علاقتها عنف أو اضطهاد للرجراجيين هم المرينيون الزناتيون، ورغم أن رجراجة ليسوا زناتيين بل مصامدة فإن الأصرة التي جمعتهم جميعا و هي آصرة التعـاون و المصالح المشتركة روعيت من الجانبين بل تحسنت أحوال الرجراجيين كثيرا بعدما أصابهم من ضر و مهانة و تعسف حتى غادر الكثير منهم أرضهم و حتى توقفت مواسمهم خوفا على نفوسهم من هجومات السلطة و من يشايعها فما السبب؟

ينقل صاحب الحلل الموشية هذا النص المفعم بالكثير: "وكان أول من بايعه من أهل المغرب يعني أبا سعيد عثمان هوارة ورجراجة ثم تسول مكناس ثم بطوية ثم قشتالة ثم سوارة ثم بهلولـة ومديونة، هؤلاء هم السابقون لبيعته فوضع عليهم الخراج وكان ذلك سنة أربع عشرة وستمائة"[62]

وليس من شك أن للموقف الرجراجي ما يبرره:

- هذه الشدة التي اصطنعتها الدولتان خاصة الموحدية.
- هذه الاستفزازات التي نرى أنها مبالغ فيها والتي طبقت فيها قاعدة الضغط يولد الانفجار

  هذا الخوف الذي لامبرر له من صلحاء رجراجة وزواياهم بل من الشياظمة بصفة عامة
- هذا الاستغلال الفاحش لثرواتهم وكسبهم ومعاملاتهم المختلفة بل والتنكر التام والاحتقار الممنهج فلا يتذكرون إلاوقت الجبايات والضرائب

وقد حفظ المرينيون لرجراجة ذلك الصنيع فإنهم جمعوا شتاتهم ولموا شعثهم من جديـد وأكرموهم ففي عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني وإثر جوازه الأول إلى الأندلس سنة **674**هـ التام الشمل الرجراجي، وذلك أن هذا الملك وهو بالأندلس حدث عن عالم جليل آخذ بناصية العلوم، فلما أوتي به إليه وجده فوق ما ذكر فإذا هو العالم عبد الجليل بن عبد الله الشيخ الرجراجي السعيدي، فاكرمه الملك بعد اطلاعه على أحوال القبيلة والناحية وبعث معه بعثة مهمة خاصة فجمعت شتات ركراكة وردتهم لمكانهم إجلالا له وتقديرا، وأسس زاويته بسور الجمعة كما جاء في كتاب السيف المسلول.

ولا شك أن هذا العالم هو الذي طور علائق المرينيين والرجراجيين وزادها صقلا وتوهجا، فاثمرت وكانت الظهائر السلطانية جنى لذيذا ، وللزاوية التي منها الشيخ العالم عبد الجليل نصيب.

فهل هذا الإكرام كان للعلم وحده ؟ أم أن للسياسة دورها؟ مهما يكن فقد كان

لركراكة مركزهم لدى الدولة الجديدة القائمة، ولا بد أن الجيش المريني بدوره به أعداد من رجراجة خاصة إبان القضاء على ثورة مسعود بن كانون السفياني ببلاد نفيس و هي من مدنهم حيث وقف المرينيون من أول يوم موقفا حازما فيما يخص وحدة القطر أو وحدة الإمبراطورية.

وفي هذا الإطار نشير لقضية العالم عمر بن محمد الرجراجي الفاسي الذي قال عنه ابن الخطيب: " كان من أولياء الله تعالى و صدور العلماء ، وشهرته بالصلاح أكثر من العلم، قرأت عليه الحوفية في الفرائض وحضرت معه في مجلس القبلب في الفقه والحديث والكلام، ومجلس العلامة الونغيلي الضرير وهو السارد، وانتفعت به كثيرا، وإن قصدته فيما عسر علي فهمه ، أجلسني مع السارية وجلس بين يدي كأنه السائل لتواضعه وإخفائه، وكان يزور السلطان ويجلس معــه ويحضه على فعل الخير ، ومراعاة من يستند إلى الله ولو كان كائنا". [4]

وقد دخل هذا الفقيه هو و شيخه بن عباد والأغصاوي يوسف على أبي سعيد المريني فأعطاهم جميعا كسوة ومائة دينار للواحد، فابن عباد أكل و لبس ، ويوسف اعتذر بالصيام ولبس وتزود بينما فقيهنا الرجراجي ما أكل و لا لبس وبالتالي لم يقبل الدراهم.

وقد تعرض لهذه القضية الإمام الصومعي التادلي في كتابه : " المعزى في مناقب الشيخ الولي أبي يعزى" كما جاءت في مراسلات ، وإن لم تذكر أسماء بين الإمامين الفقيهين أبي عيسى المهدي الدكالي العوني الطالبي ومحمد بن دح ، حيث بعث الأول للثاني رسالة يستنكر عليه فيها أشياء: "

بلغني أنك تأكل من موائد الخلفاء و تلبس الحرير، وتقبل من هداياهم وغير ذلك. [4].

فكان من جواب الثاني: " ... و قال سيدي زروق في شرح الإرشاد ، و حكى الفقيه الغوري أن السلطان أبا الحسن المريني دعا فقهاء و قته و كانوا أهل علم و دين فكان من قال منهم ، إني صائم، ومنهم من أكل و نال، و منهم من أكل الغلات كالسمن فقط و منهم من شمر للأكل..." [5].

ومن تآليف هذا العالم الجليل كتاب: (هداية من تولى، غير الرب و المولى) و قد حققه و كتب عنه دراسة وافية بالإسبانية الدكتور خوستيل عام 1974 نال بها الدكتوراه و نشرها مؤخرا المعهد الإسباني العربي للثقافة بمدريد.

وقد اعتني بهذا الكتاب عناية كبيرة لأنه بالدرجة الأولى سياسي و يطرح ما ينبغي للسلاطين اتباعه، وهذه الرسالة لا شك فيها منه إلى ملوك المرينيين ساعتها ونشير إلى هذه العناية ضمن موقفين:

- الأول: كتبت مجلة " الأمة القطرية دراسة عن صاحب الكتاب الذي عاش في فاس و تونس و رحل لمصر ومنها إلى مكة فحج، و من كلام الفقيه في كتابه بالمقدمة: " أما بعد ، فإن مقام السلطنة نائب عن مقعد النبوة، فكما وقع العدول في حقه من الصفوة العاملين وقع التفريط و الإفراط من الجفاة الجاهلين الغافلين، فلا بد للغافل من

علم ذلك ليسلك سبيل المومنين و إلا تاه في بيداء الضلالة كما تاه عن طريق العدل فيه أكثر الهالكين، و الطريق العدل فيه ينحصر في مقدمة و اربعة أبواب: البلب الاول فيما للسلاطين، الباب الثاني ، فيما عليهم، الباب الثالث فيما ينبغي لهم، البلب الرابع فيما ليس لهم.

ويفيد الدكتور محمد عبد الحميد عيسى صاحب الدراسة انه كان في هذه الفترة فقيه آخر بهذا الاسم فيقول: " اسرة الرجراجي اسرة مغربية عريقة، تقع أرضها في الجنوب الشرقي من البلاد و قد أنجبت هذه الأسرة عددا كبيرا من العلماء و الفقهاء خصص لها التادلي في كتابه التشوف جزء كبيرا عنوانه: (أخبار صالحي رجراجة.)

وقد شهد منتصف القرن الخامس عشر الميلادي شخصيتين علميتين كبيرتين من هذه الاسرة حملا معا اسم)ابو حفص عمر الرجراجي (و كان اكبرهما أكثر شهرة و أشارت إليه جميع ترجمات عصره أو التالية لها و أجمعت جميعها على تاريخ وفاته في السادس من ذي القعدة عـــام 810هـ. إلخ [66] ،

انتهى ما كتبه الأستاذ، و ليس هذا صاحب الكتاب المتوفي سنة 869هـ 1465م

– الثاني رسالة بعثها إلي الدكتور بروليو خوستيل مدير الخزانة ريال مدريد/اسبانيا بتاريخ 14-11-76، هذه ترجمتها:

السيد محمد السعيدي الرجراجي/ليسي الهداية الإسلامية/آسفي

عزيزي:

بالمجلد الخامس-السادس من مجلة "المنارة " قرأت ملخصا يتعلق بكم حيث وجدت عنوان كتاب لوالدكم يمكنني الاعتماد عليه و هو " الثغور الباسمة في علماء و قواد و رجال رجراجة....)[67]

ولقد اتخذت عنوان أطروحتي للدكتوراه: (الهداية للرجراجي) دراسة – نقد – ترجمة.

وقد اعتمدت في الأطروحة على أن مؤلف هداية من تولى ، غير الرب والمولى[68] والمسمى أبا حفص عمر بن موسى بن محمد الرجراجي ليس الرجراجي الشهير المتوفى سنة 810/1408م والمشار إليه في "الهداية" بعمر الرجراجي والمقدم من المؤلف على انه استاذه الذي يغدو المؤلف بدوره استاذا له، و فوق هذا و حسب (الهداية) يوضع سؤال محير و غامض حول وفاة الرجراجي الشهير الذي أنعته بالرجراجي الكبير تمييزا له عن تلميذه الذي أنعته بالرجراجي الصغير .

وهنا بمكتبة الاسكوريال التي أديرها توجد نسخة للهداية كما توجد نسخة أخرى بالخزانة العامة بالرباط استفدت منها ، و هناك ثالثة في المكتبة الخاصة لمحمد عابد الفاسي التي لم أستطع زيارتها ولكني تلقيت منها العشرين سطرا التي تنقص النسختين الاخريين.

وسؤالي هو: هل بالثغور الباسمة معلومات عن الرجراجيين ؟ وكيفما كان.

فالمرجو منكم أن تبعثوا لي نسخة من هذا المؤلف على أن أردها لكم برجوع البريد وسؤالي الثاني هو هل تعلمون نسخا أخرى للهداية ؟

والسؤال الثالث كيف تتوقعون انكبابي (اختياري) للهداية ؟
وفي مراسلة اخرى (خاصة) سابعث لكم بنسخة من ملخص أطروحتي للدكتوراه والتي احب أن تعطوني فيها نظريتكم و ملاحظاتكم.

<u>في انتظار جوابكم، تقبلوا-عزيزي-أطيب تقديري و اعتباري.</u>
<u>برولبوخوستيل-مدير الخزانة ريال</u>

إننا نرى كملخص لعلاقة الرجراجيين بالدولة الحاكمة المرينية أنها علاقة اعتمدت بالدرجة الأولى على الفهم والتنوير الفكري، وكان واسطة عقدها العلماء وليس السياسيون المحترفـون والعسكريون المرهبون ، وذلك لأن الدولة نفسها كانت دولة علو وإعمار وما المدارس المشيدة في مختلف مدن المغرب إلا رمز من رموزها المضيئة، ثم أو لم يضم البحر فيما ضم من شخصيات أربعة مائة عالم كانوا مع الملك في رحلته إلى تونس حيث كانت فاجعة كبيرة لا يقدر قدرها و لا ينفع فيها تأوه و لا نواح.
أما علاقة الرجراجيين بالسعديين فشيء آخر و نستطيع أن نقول إنها مرت في أربعة ادوار:

الدور الأول و هو دور التأسيس .

باستيلاء الغربيين على العديد من الشواطئ المغربية حتى ضاقت البلاد بهم و ضيقوا الخناق على الأهالي في الحواضر و البوادي و طبقوا ما ننزه عنه هذه الصفحات .
وبضعف الوطاسيين و ملوكهم الذين أصبحوا الاعيب في يد الوزراء و الكتاب و الخدم و النساء، وبسقوط هيبة الدولة وانتشار ما يمكن أن ينتشر في مثل هذه الأحوال جاءت النجدة كما هو معلوم من رجال الدين و من ذوي التفكير و الزكانة فكانت كل ناحية تغلي كالمرجل يتقدمها إمام مقدام و مجاهد كفء و شجاع صوال.
وكانت رجراجة-و هي دوما هكذا- في المقدمة و بدون حدود فتحركت وانجزت و حققت و أن العدد العديد من القبائل المتواجدة سواء على الساحل أو داخل البلاد لتشهد بذلك المجهود المضني الذي بذلوه و الاستبسال الكبير بغية نصر الدين والعقيدة متكلين على الله موجهين إليه الوجوه و القلوب متحققين من وعده في قوله تعالى: **"إن الله اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة** صدق الله العظيم .
والصراع المرير بين هؤلاء و البرتغال بالشياظمة و حاحا هو الذي جعل الشياظمة من رجراجة و غيرهم وشيوخ حاحا يذهبون إلى السوس و يطلبون من أبي عبد الله القائم السعدي أن يحضر إلى بلادهم ليجاهدوا وإياه و يخوضوا معارك الحرب معا.
و هكذا كان الركراكيون من أول يوم مسؤولين عن الدولة السعدية و التعاون معها ومناصرتها والوقوف في وجه مناوئيها، و قد حفظ التاريخ أن أبا عبد الله القائم السعدي وولده ابا العباس أحمد الأعرج نزلا بأفوغال وظلا يقاتلان ومن معهم العدو البرتغالي إلى أن استشهد الوالد سنة 923هـ / 1517م ليخلفه الولد الذي فتح حصن فونتي

بحاحة بعدما بقي به البرتغال اثنتين وسبعين سنة، كما قضى على أوكار البرتغال في تالمست و آسفي و غيرهما بين سنتي 927-928هـ/ 1521-1522م قبل أن يرحل إلى مراكش بعد بيعة الهنتاتيين سنة 930هـ .

إن هذه الأحداث العظيمة و الأهوال الجسيمة و النتائج القيمة التي أسفر عنها التصارع ليس الوصول إليها سهلا ما لم تكن هنك قاعدة دينية مؤطرة مؤمنة بنفسها و مقاصدها ورجال هذا الحقبة ما زال الكثير منهم في عالم الجهل به، و لكن الزوايا الرجراجية أبلت البلاء الحسن و أبدت من البطـولات و قدمت من الشهداء ما ظهر أثره بعد ذلك سواء في المجال الشعبي أو الرسمي حيث نظر الملوك السعديون إلى رجراجة نظرة إجلال و اعتبار و تقدير و عرفان .

الدور الثاني دور بداية انحسار الود،

وذلك أن الدولة وقد عاش مؤسسوها ببلاد رجراجة-تيقنت من أن لهؤلاء نفوذا قويا سياسيا واجتماعيا و دينيا و صوفيا فارادت أن تلجمهم و تحد مما يتمتعون به إن لم تستطع أن تجعلهم على المقاس .

وكان للحركة الدينية الصوفية التي تركها الإمام محمد بن سليمان الجزولي صدى كبيـــر ومريدون متمسكون تجاوز عددهم عشرة ءالاف مريد وكلهم مستعد للبذل، وكلهم مستعد للفدائية، فكان تخوف الدولة قائما وكانت لها حساباتها وتقديراتها خاصة وأن الأهالي كانوا يعرفون أن الجزولي شريف كما قال هو نفسه: "ليس العزيز من تعزز بالقبيلة وحب الجاه إنما العزيز من تعزز بالشرف والنسب وأنا شريف في النسب جدي رسول الله (ص) وانا اقرب إليه من كل ما خلق الله"[69]

وجملة انا اقرب إليه من كل ما خلق الله لا بد أن تثير أعصاب كل حاكم خاصة إذا كانت الدولة في بداية أمرها خاصة مرة اخرى إذا كان القائل متحصنا في ناحية أهلها مستعدون لكل شيء رغم أن الجزولي لم يحضر قيام الدولة السعدية.

"وكسبت الطريقة الجزولية صيتا ونفوذا إلى حد أنها جعلت الطريقة الشاذلية التي منها انبثقت تقع في طي النسيان وحلت محلها تماما في المغرب، حينئذ تأسست كثرة لا تحصى من الزوايـــا وعـــدد كبير من الطرقية، فسعى السلاطين السعديون إلى التخلص فورا من هؤلاء الذين ساعدوهـــم وبالتالي، ضايقوهم في ممارسة سلطتهم، وهكذا خربت كثير من الزوايا وتفرقت الطرقية شذر مذر أو تم وأدها قبل أن ترى النور"[70]

وزاد الطين بلة ثورة عمر الشيظمي المعروف بالسياف وإخراجه لثابوت الجزولي من القبـر و حمله معه في معاركه التي كثيرا ما انتصر فيها و التي أرهقت الدولة مالا وعتادا ووقتا وأخطرها بشرا ،الشيء الذي ترتب عنه كثير من الترتيبات حتى دعا الأمر إلى نقل رفات الشيخ الجزولي من أفوغال ليدفن بمراكش.

ورغم أن ما بين ثورة السياف بعد موت الجزولي والظرف الذي نتحدث عنه يصل إلى قرابة السبعين سنة فإن الناحية كلها كانت مشدودة إلى من يتزعمها.

ثم لماذا نقل كذلك رفات أبي عبد الله السعدي إلى مراكش وقد كان قبره مجاورا

لقبر الجزولي بافوغال ؟ هل الخوف من النبش عليه وإحراقه أو اتخاذه ورقة رابحة يساوم (بالمبني للمجهول) بها الحكم على ما لا يراه في صالحه ولا في صالح الحقبة ؟

ومع كل الذي المحنا إليه فلم تكن هناك قطيعة بين الجانبين ولم يصل الأمر بين الركراكيين والسعديين إلى الطريق المسدود وكل ما هناك غضب وتوجس وترقب، دليل ذلك أن الرسائل المخزنية والظهائر التوقيرية مؤشر إيجابي على ما نقرر، حتى إننا لا نجد اي ذكر للزاوية الرجراجية حينما خضعت الزوايا الاخرى، لامتحان عسير أيام أبي عبد الله محمد الشيخ الذي كان إلى علمه وثقافته وأدبه قاسيا مسرفا في القسوة مبالغا فيها ففتك بالبعض وشرد البعض وقتل الفقيه عبد الواحد الزقاق كما قتل الفقيه عليا بن حرزوز الخطيب بمكناس وهو صديق حميم للشيخ أبي عثمان سعيد ابن أبي بكر الرجراجي:

الدور الثالث: عودة الصفاء من جديد .

وقد كان بطل هذا الدور السلطان احمد المنصور الذهبي العالم الأديب السياسي الشاعر المنشئ الباني الغير "متوقف في الدماء ولا هياب للوقيعة فيها" [71]

ولقد كان في بلاطه من الرجراجيين من لهم الكلمة المسموعة و ممن يؤثرون في الأحداث، فقد كان احد كتاب ديوانه رجراجيا و هو الفقيه الحجة الشاعر البليغ علي بن منصور الرتناني المعروف بارتنو ، وله منه ظهير وقفت عليه ضمن وثائق زاوية سيدي عيسى بوخلبية مؤرخ ب 1014هـ وقد نشر وترجمة له بالسيف المسلول.

وللشاعر الرتناني القصائد الغر في المنصور ومنشآته ومواقفه ، وفي الاستقصاء وغيره الكثير ومنها التي سنشير لها لاحقا.

يقول الناصري وهو يتحدث عن كيفية إلقاء القصائد أمام المنصور " قام شعراء الدولة فيتقدم قاضي الجماعة الشاطبي بلبل منابر الجمع والأعياد فينشد قصيدة يفتحها بالتغزل والنسيب ، فإذا تم تخلص لمدح النبي صلى الله عليه و سلم ثم يختم بمدح المنصور والدعاء له ولولي عهده، فإذا قضى نشيده تقدم الإمام المفتي المولى أبو مالك عبد الواحد الشريف فينشد قصيدته على ذلك المنوال فإذا فرغ تلاه الوزير أبو الحسن علي بن منصور الشيظمي، ثم تلاه الكاتب أبو فارس عبد العزيز الفشتالي..." [72]

من قصيدة " الوزير القائد أبي الحسن علي بن منصور كما قال في الاستقصا

منْ بعد أهل قبا و أهـــل كـــداء	شوقي يزيد و عـز ذاك عزائـــــي
و لي الشفاء بقربهم وهــم جـــلا	ما في الخواطر من صدى و صداء
يا أيها الملك الذي بسيوفـــــه	حاط الهـدى و برأيـــه الوضـــاء
ذخر الإلاه لك الفتوح وصانهـــا	كالزهر فـــي الأكمـام و الأوعـــاء
لا بد من فتح يروقــك واضـــح	كالصبح يدرأ في نحـور عـــــداء
وستملك الحرم الشريف و ينتمي	للوائك المنصور دون مــــــراء
وترى الجهات و قد أتت منقــادة	بظبى بنيك السادة النجبـــــاء. [73]





سنة 596، فدار بعسكره إلى جهة قرطاجة، والتقى بجيش الوالي الذي هزم، واندفعت جيوش ابن عبد الكريم تسلب وتنهب، ثم حدثته نفسه بحصار قلبيس وكان على رأسها يحيى بن إسحاق الميورقي، وارتحل إلى قفصة ولكنه هزم في وقعةبينه وبين المويورقي وولى هاربا إلى أن دخل المهدية ثم التحق به من سلم من جنده فتحصنوا بها، إلا أن يحيى لحق به وحاصره بها أول سنة 597، وكان من دهاء الميورقي أن بعث للوالي يساله السلم ويطلب منه الإعانة بقطع من البحر يتمكن بها من غريمه فاجابه إلى ذلك

وحاول ابن عبد الكريم وقد ادرك خطله أن يصلح ما بينه وبين يحيى بواسطة ولده عبد الله وأظهر يحيى انه موافق ولكنه حينما تمكن من الاب والولد سجنهما، وبعد ايام أخرج الأب من السجن ميتا لا اثر به فسلم إلى أهله فدفنوه، وبقي ابنه يتوقع الموت كل حين إلى أن أخرجه يحيى مظهرا نفيه إلى جزيرة ميورقة، فلما كان أرباب السفينة بمقربة من قسطنطينة القوه بقيده في البحر (الحلل السندسية في الأخبار التونسية طبعة تونس سنة 1287)

ويعلق الكانوني قائلا وهكذا انتهت محاولة ابن عبد الكريم التي كانت بَرْقاً خُلَّباً، ويظهر من أمره أنه لم يكن معه رأي سديد فإن قياما إبان قوة الدولة الموحدية من خطل الرأي أي لايستقيم له أمر مع قوتها، ثم إنه أسرع بإيقاد نار الحرب قبل توطيد أمره واطمئنان الناس إليه " وهذا حق وصواب من كل وجهة.

رجراجــة و العلويــون.

لا نجد ملكا من ملوك المغرب كان له مع رجراجة ما كان للمولى إسماعيل من أخذ ورد ، وشـــد وجذب ومنح وتكريم وذلك في نظرنا راجع إلى قوة شكيمة الملك المجاهد و إرادته القوية في توحيد البلاد وبسط نفوذ الدولة على الجنوب الذي كان مليئا بالرباطات و الزوايا و مليئا بالترقب و التوثب رغم أن اخاه المولى الرشيد كان قد أراحه من الدلاء بالأطلس المتوسط و من الشبانات بمراكش و من إيليغ بسوس وإلى جموع الرجراجيين الذين كانت فلسفتهم مبنية على " اتركوهم ما تركوكم و على الهدوء والاستقرار و نوع من الإحساس بالذاتية لقاء ما دفن عندهم من صحابة هم حفدة لهم .

و لعل المولى إسماعيل و ضع هذا الاعتبار و لابد أن يضعه من بين اعتبارات أخرى من اجل هذه الناحية لتدخل فيما دخل فيه المغرب دونما إثارة فتنة أو إشهار سلاح أو بعث جندي مع المحافظة على سمعتهم و مكانتهم التي هي دوما بجانب الشرعية والسير مع الجماعة والتمسك بالحديث : اسمعوا وأطيعوا الحديث"

وهكذا وجدنا عمله معهم يمر في عدة مراحل أساسية

1) التحقق من صحبتهم و الوقوف على الوجه الصحيح فيها.

"وقد نقل اليفرني عن شيخه الحريشي أن المولى إسماعيل سأل علماء فاس هل صحبة السادات الرجراجيين حق أم لا ، فأجاب شيخ الجماعة سيدي عبد القادر بأن لا صحبة لهم، ولم يدخل أحد من الصحابة للمغرب فترك السلطان ما كان عازما عليه " كما

أن الشيخ الفلسي استنكر ما يقع في مواسمهم من إهدار للطعام ومن اختلاط الرجال بالنساء فابطل الملك تلك المواسم خمسة أعوام، وفي المقابل تصدى لبحث الصحبة علماء مراكش واثبتوها وان لم يكن ذلك بصفة قطعية.

وفعلا فإن الفقيه الحسن اليوسي استنكر بدوره بعض الممارسات فكتب في محاضراتـــه :

ورأيت في بلاد المصامدة وخصوصا بلاد رجراجة من هذا كثيرا بقي عندهم موروثا خلفا عن سلف عندما يدورون على صلحانهم زائرين و لما حضرت معهم في الدور في هذه السفرة التي بدأت فيها هذه الأوراق وذلك سنة خمس وتسعين والف ، لم أوافقهم في فعل كثير مما يفعلون من ذلك ، مخافة أن يتخذني العوام حجة فيتغالون في ذلك ، ومع ذلك لم أخل نفسي من التبرك بأمور قريبة لا باس بها " [97]

فما هذا الذي كانوا يفعلونه ولو بين قليله لكان أفيد على الأقل ..ثم إن ما كانوا يفعلونه لم يكن متعلقا بالدين ولا بطقوسه وإلا ما كان لليوسي العالم الحجة أن يسكت ويرضى .

ثم أيضا هل كان من الممكن أن يبقى موسم لعدة أسابيع كل سنة ولمدة ألف سنة وزيادة وهو نقي طاهر لا خدش فيه ولا لوثة ولو بكثرة الطعام واهراق ما فضل منه ، وباختلاط النساء بالرجال إن كان ذلك قد فشا فشوا يستحق فتوى من شيخ علماء فاس مع انه لم يزر رجراجة ولا مواسمهـــم وانما سمع وليس من رأى كمن سمع .

والذي يمكن التعويل عليه-وإن كنا لا ننفي ما رآه الفقيه اليوسي- أن الموقف الإسماعيلي من مواسم رجراجة كان لغاية سياسية ، وحينما تتدخل السياسة تكون كل الطرق مشرعة وسالكة، إذ من الصعب جدا أن يطلق الحبل على الغارب لقبائل مسندة بأخرى تحتفل قرابة ستة أسابيع متتالية دون أن يكون ذلك هاجسا للحاكم اليقظ و الدولة في طور النشوء

2) إقامة سبعة رجال آخرين للزيارة.

ورقم سبعة رجال رقم معروف ومألوف في كل الظواهر الكونية وحتى الحياة البشريـــة وبالمغرب كثير من المزارات لسبعة رجال أشهرها رجال رجراجة و مراكش.

ولا يهمنا البحث و التقصي عن هؤلاء السادة وتراجمهم وأعمالهم و أقوالهم بقدر ما يهمنا السبب الذي جعل المولى إسماعيل يأمر باتخاذ الرجال السبعة بمراكش مزارات، ولماذا مراكـش وليس آسفي مثلا ورباط الشيخ أبي محمد صالح بها كالشمس في رابعة النهار ؟

وهناك من ينفي الأمر عن مولاي إسماعيل و يرده إلى العهد السعدي بعد الهزيمة التي تكبدها محمد ابن الشيخ بن زيدان كما أشرنا فعين الرجال السبعة وزارهم الملك ونظم فيهم الشعر من يستطيع:

معنى هذا أن الشياظمة و الشياظمة هي رجراجة كانوا في حرب مع الدولة و هذا الامر يرشحه ليهتم به المولى إسماعيل لأسباب:

- أن هذا الموقف من الشياظمة استمر فكان لا بد من حده بطرق متعددة منها خلق زيارة سبعة رجال بمراكش كبديل.

- أن تعلق الناس برجال مراكش يجب أن يتحقق لأن رجراجة كانوا معروفين في الجنوب و لهم رتبتهم و مريدوهم ومناصروهم، و ليس من السهل مناوأتهم بآخرين ما لم تكن هناك قوة إما عن طريق الخوف و التخويف ، و إما عن طريق القدوة، و إما عن طريق التقرب و إما عن طريق العطـاء و إما عن هذه الطرق كلها، وهذه أشياء يعجز عنها كلية الشيخ السعدي و نظامه المتلاشي.

وعمليا لم تكن هناك بلدة تنافس مراكش في هذا لما فيها من إمكانيات مادية و معنويـة وحضاريـة وعلمية و لأنها العاصمة التي تهفو لها الأنظار و إن نافستها مكناس ساعتئذ وهي بعيدة من رجراجة شأن فاس.

أما آسفي فلم يكن ذلك متأتيا على الأقل لسببين :

أ- إنها تجاور المنطقة ورتناتة و هي زاوية رجراجية إحدى ضواحيها هذا إذا تحدثنا بمقياس التقلص الذي أصاب بلاد رجراجة و إلا فآسفي بدورها رجراجية .

ب- إننا إذا عدونا الشيخ أبا محمد صالح وجدنا الأغلبية من صالحي آسفي رجراجيين و لا نجد سببا وجيها يقنعنا باختيار الفقيه اليوسي أولائك السادة من بين عشرات الشخصيات المدفونة بمراكش رغم أن هناك من هو أكثر علما-على الأقل-من بعض المختارين دون نية التنقص من رتبة أحد ، فرجل كسيدي أحمد بن العريف و أبي عمرو القسطلي و يعقوب المنصور الموحدي و ابن البناء العددي و أبي الحكم عبد السلام المشهور بابن برجان، و محمد ياسين الرجراجي المراكشي وغيرهم كان الواجب أن لا يتخطاهم اختيار.

وحتى اختيار الفقيه اليوسي من المولى إسماعيل لهذه المهمة يحتاج إلى وقفة متأنية .

- إن الفقيه زار رجراجة عام **1095**هـ حسب ما كتبه هو نفسه وحضر مواسمهم و طاف معهم و كان ساعتها مبعدا إلى مراكش إثر ثورة أحمد بن عبد الله الدلائي ، بعد أن سبق لمولى رشيد أن قضى نهائيا على الزاوية الدلائية و كان اليوسي تعلم بها و استفاد ودرس ومدح علماءها ورثاها في الأخير.

-إن اليوسي كان معظما لرجراجة يتوسل برجالهم و كان كثيرا ما ينشد كلما حل بمرحلة.

ارجراجة الانسلب أملـت رحلكـم	و فضلكم المشهور في البدو و القـرى
وأنزلت رحلي في حمى عرصاتكـم	و لا بد للضيف النزيـل مــن القــرى

بل إنه صرح بصحبتهم في توسله المشهور.

توسلت للرحمان في كل حاجـة	أريد قضاها عاجلا غير أجـــل
بسادتنا الاخيار صحـب نبينــا	تلاقوا معه في أصح الأقـــاول[85]

- إن المولى إسماعيل تولى الملك سنة **1082**هـ و أن من ثار عليه في نفس السنة بالسوس ابن أخيه أحمد بن محرز الذي امتدت ثورته مع خفوت نسبيا إلى **1088**هـ و

عانت منها الدولة كثيرا و نجمت في سوس القريب نوعا من بلاد رجراجة، فهل كان بعض الرجراجيين من المشاركين فيها و تحقق ذلك عند السلطان؟ أم أن السلطان كان يأخذ احتياطاته فقط ؟

- لا نعرف السنة التي أمر فيها المولى إسماعيل بإحداث سبعة رجال المراكشيين، ولو عرفنا لكفينا الكثير، فإن المسافة الزمنية بين مبايعة السلطان إسماعيل ووفود اليوسي على رجراجة ثلاث عشرة سنة، و هي كافية نوعا ما لإحداث أوضاع جديدة في المنطقة و ترتيب الناحية وفق آليات أخرى لو اتجهت إليها همة السلطان من أول وهلة الشيء الذي يفسر بأن رجال مراكش السبعة تأخر أمرهم إلى ما بعد هذا التاريخ و إلا فإن الفقيه اليوسي إن تحقق ذلك سيكون مناقضا نفسه بعد ما قاله فيهم وفعله ببلادهم.

- إذا تأخر الأمر إلى ما بعد سنة 1095هـ ، و لم يبق سوى سبع سنوات على وفاة اليوسي، فهل كان ذلك ممكنا لمشاغل الملك ولانشغاله بحرب أخوته وأبناء أخوته وحتى أولاده و آخرين .

ممكن جدا و لكن وحتى إذا تم ذلك، فإن النتيجة المتوخاة من أجل اختيار سبعة رجال مراكشيين ذوي أصول عربية كسد منيع أمام الآخرين الأمازيغ حسب استنتاجات ذوكلمستري كما أكد الأستاذ الدكتور حسن جلاب لم يتحقق، لأن من اختارهم اليوسي إن فعل-منهم من أصوله بربرية.. هذا إذا تجاوزنا الأصل البربري لليوسي نفسه.

وإذن فإن شكا كبيرا يحوم حول المهمة وهي الزيارة وإقامتها واختيار اعلامها.

وقد ألقى الفقيه اليوسي عدة دروس في أكثر من دور: "وقد حدث في ذلك بصحبتهم- في ضريح سيدي أبي زرقطون أمام سبعمائة من الطلبة وفيهم من العلماء خمسا، منهم سيدي الحسن المذكور ومنهم سيدي علي بن عبد الله الحاج ومنهم سيدي احمد بن عباد، ومنهم سيدي سعيد بن محمد من أولاد سيدي سعيد بن عبد النعيم و منهم سيد آخر لا أعرفه فالعذر للناقل لا يضل ربي ولا ينسى"[1]

هذا الكلام بعد ما نقله الفقيه المختار السوسي بعد تغيير في بعض الأسماء علق عليه قائلا : " أما كون اليوسي و سعيد بن عبد النعيم ممن تلاقوا في دور رجراجة فلكنوبة فاين اليوسي المتوفي سنة 1102هـ من الآخر المتوفي في أواسط القرن العاشر"[2] فقد وهم الفقيه السوسي حينما اعتقد ان الأمر يتعلق بسعيد بن عبد النعيم الحاحي المعروف ، و إنما الأمر يتعلق بسعيد بن محمد من أولاد سيدي سعيد بن عبد النعيم السعيدي الرجراجي ، كما في الشجرة السعيدية مع بعض الاختلاف مرده غالبا إلى الناقل و إلا فلا تفكير أبدا في حضور سعيد الحاحي بجانب الفقيه اليوسي لبعد المسافة الزمانية و إن لم تكن كبيرة جدا ، وان الحاحي له مشاغل أخرى غير الحضور للدور الرجراجي.

فهل كسرت شوكة السبعة المراكشيين شوكة الرجراجيين و أغمطت قدرهم و دمرت ذكرهم و أنستهم في العالمين ؟

الجواب منفي طبعا و إن كان كثير من الناس بمراكش و نواحيها تأثروا بالصلحاء

المدفونين بهـــا واستمر ذلك زمنا غير قصير فغالوا و تغالوا و ارتكبوا ما أوجب نكير السلطان المولى سليمان في رسالته المهمة المعروفة : " فعلينا ان تقتدي بسبعة رجال و لا نتخذهم آلهة لئلا يحول الحال فيهم إلى ماءال إليه في يغوث و يعوق و نسر: " ولم يقل مثل هذا أبدا في الرجراجين منذ عشرات القرون.

3) ذهاب الصوفي الشيخ محمد بن حميدة لمكناس واتصاله بالمولى إسماعيل

وقد أحيا هذا الرجل المدد الرجراجي بعد ما اندرس و كان اتصاله بالسلطان فاتحة خير اذ قدمه على كل الرجراجيين بظهير جدد في عهد ولده مولاي عبد المالك و فيه: " وقد جددنا على زاوية السادات رقراقة أينما كانوا و أبقيناهم على ما أبقاهم عليه والدنا رحمة الله عليه من التوقير والاحترام، وقد حملناهم على كامل المبرة، ولاحظناهم بعين الرضا و المودة ، فلا سبيل لأحد عليهم بشيء من الأشياء و لا بامر من الأمور جل أو قل، ورفعنا عنهم يد كل جائر أو غادر أو ظالم ، و أخرجناهم من زمـــرة الأعوام فلا يلزمهم ما يلزمهم ، ولا ينوبهم ماينوبهم لانهم منا والينا ، ومن أهل محبتنا ومودتنا وشيعتنا لدينهم و صلاحهم، فمن قربهم أو طاف بساحتهم وخرق عليهم عادة، فالله حسيبه وسائله (محو من أجل الطي) عشرين من ذي القعدة عام تسعة وثلاثين ومائة وألف "[83]

و هذا تقدير ما عليه من مزيد:

وقد دام التقديم بزاوية الشيخ المذكور (بن حميدة) و في حفدته من ذلك التاريخ للآن ووصل عددهم أحد عشر مقدما ثمانية منهم بظهائر ملوكية[84]

4) إرجاع الدور و تكريم الصحابة

و لا بد أن هذا الإرجاع كان نتيجة لزيارة الصوفي السابق الذكر إلى مكناسة لأن السلطان اقتنع بصحبة الرجال السبعة و بسلامة هوية أحفادهم ، فانفتح عليهم انفتاحا كان فيه تقدير كبير ومراعاة مشكورة، بل بلغ الانفتاح ذروته حتى كتب الفقيهان السيدان حسن بن رحال محشي ميارة على التحفة وللشيخ محمد البوعناني وهما من هيئة التدريس بالقرويين، وعلماء آخرون من فاس ، للفقيه السيــد عبد الله بن أحمد القرمودي الرجراجي حينما تخاصم مرابطو الزاوية القرمودية على القبور داخل القبة هل تبسط وتطمس أو تبقى على حالها: " إن ما تشاجر عليه مرابطوكم أمور تافهة ، وسيدنا أعزه الله ، مولانا إسماعيل له شغف بطائفتكم"

فهل هذه الإشارة من عندية الفقهاء لا غير؟

و إذ يقول العلماء بفاس "بشغف الطائفة" من المولى إسماعيل فذلك له مدلول عظيم.

و أيادي السلطان في هذا الباب لا تجارى، فكم من ظهائر ميز بها الزوايا الرجراجية، وكم من أملاك حبس على بعض الصحابة فكانت رفدا وتوسعة وخيرا على تلك الزوايا خاصة زاويتي سيدي سعيد السابق وسيدي واسمين.

تقلص نفوذ الزوايا:

نظرا لممارسات كثيرة و مواقف معروفة من أهل الزوايا ، كان لا بد أن ينظر إليها نظرة شك وترقب الشيء الذي يفرض سؤالا مهما: هل تقلص دور الزوايا الجهادي الدفاعي بالسلاح على عهد العلويين؟ و الجواب سيكون إيجابيا انطلاقا من معطيات عديدة:

1- أن المدن تحررت و لم تبق للأجنبي سيطرة إلا على القليل، إذ وضعت الدولة أمر تحريرها على راس الأولويات

2- أن الجيش النظامي بعد تكوينه و تجديده كان قادرا على إخماد نار الفتنة و ذلك بعد جهود ضخمة حتى ضمنت سلامة الوطن و المواطنين.

3- أن الناس بداوا يدركون قيمة الاستقرار وأن المغامرين لم تعد لهم سوق نافقة إلا في حدود، حقيقة كان هنالك فتانون خاصة في العهود المتأخرة حينما بدأت يد الاستعمار تفعل فعلها ولكنهم ردوا على أعقابهم مندحرين.

4- أن المولى إسماعيل سحب أسلحة و خيول القبائل فكان موفقا دعك مما قيل في هذه العملية ومما لوحظ عليها من اناس لم يكونوا يعيشون الظرف ولا وطاته.

أما بالنسبة لرجراجة فإن دورهم تبلور اكثر في عهد هذه الدولة من خلال:

أ- أصبح لرجراجة مقدم واحد مسؤول أمام الدوائر العليا، يتكلم باسمهم و تصدر المكاتبات الرسمية عن طريقه أو بواسطة العامل دون إخلال بحرية كل مقدم في زاويته.

ب- أصبح هذا المقدم يعين بظهير شريف فلم يعد هناك مطمع لطامع.

ج- محافظة الرجراجيين على الشرعية و احترام الجالس على العرش .

د- حدت الظهائر الملوكية من سلطة المتولين فلم يبق استبداد و لاتسلط يقضان المضاجع و يسفكان الدماء ويعكران الصفو، و إن حصلا فإن الدوائر العليا سرعان ما تلجم غرور العامل وتحد من غلوائه وتوقف سلطته عند حدها، و في زوايا رجراجة كثير من الظهائر المختلفة في هذا الشأن حيث كان العمال يكنون عداء ظاهرا لها نظرا لمكانة أصحابها و حظوتهم عند االسلاطين .

قنوات أخرى:

وهناك قنوات أخرى كانت الدولة تعتمد عليها، وحتى دونما شعور من المستهدفين لتمرر سياستها و لتوصل للناس ما تريد إيصاله من غير جلب بالرجل والخيل وحتى بالسلاح، وهذه القنوات هي :

- المقدمـــــون.
- العلماء و المتصوفون.
- القضـــــــاة.
- رجال السلطـــة.

ولكل منهم دور يؤديه أو يجتمعون كلهم إذا دعا لذلك داع، و لنقل كلمة عن كل قناة.

-المقدمـــون:

لعب المقدمون في الزوايا الرجراجية دورا مهما و كبيرا جدا سواء من الناحية الدينية أو الاجتماعية أو المخزنية، فالمقدم كان يتمتع وسط محيطه باحترام مطلق تسمع كلمته، وتتبع توجيهاته، ويقدر رأيه، وتخاف سلطته لأنه حصل على مركزه عن طريق الاختيار الحر و التعامل النزيه ويتدخل كنلك مركزه السني و العلمي و قد يكون المالي.

إن علاقاته مع كل الأوساط و تمسكه بالحق و الذب عنه و السير وفق مقتضيات الشـــرع و الديـن والمصالح كانت تعين المقدم في تأدية واجبه أحسن تأدية، هذا على المستوى المركزي لكل زاوية إما على المستوى العام لجميع الزوايا، فالمقدم تشترط فيه إلى ما سبق- شروط أخرى أهمها الصبـر و الكرم والأريحية و التحمل و الاستعداد و حسن التأتي و الجار بالحق و الدفاع عن الرجراجيين اينما كانوا أمام المخزن المركزي وضد غائلة المتولين المحليين الذين كان طغيانهم طافحا.

أضف إلى هذا فعمل المقدم كان عملا سياسيا إلى حد ما ، فالمقدم بكل ما له من وجاهـــة و مكانة في القبيلة و بكل ما أضفاه عليه مركزه من هيبة و نفاذ أمر و كلمة كان له التأثير المباشر في سياسة الناحية والوقوف بجانب الشرعية و العمل على تركيزها و حفظها و صيانتها، و إخماد نار الفتنــة و متزعميها خاصة إذا كانت للمقدم شخصية قوية، و في بعض الأحيان كانت تسند إليه وظيفة الشياخة

نموذج لمقدم سياسي:

هذا المقدم هو الطاهر بن محمد ضما بن محمد فتحا بن حميدة بزاوية بن حميدة.

كان المقدم في المستوى اللائق تدينا و تصوفا و غنى و علما و خيارة حافظا لكتاب الله خائفا من ربه، قوالا بالحق ، مجاهدا في سبيل العدالة و الشرعية لا يخاف الحاكم و لا يرهب سلطته و لا تأخذه في الله لومة لائم.

وكانت سمعته كمقدم لرجراجة و كإنسان غني قد أهلته ليحرز ثقة القبائل الشيظمية و يتقدم صفوفهـا وكان له موقف هام في المحنة التي ابتلى بها المغرب غب وفاة السلطان سيدي محمد بن عبد الله حيث تنازع أبناؤه الملك و أصبح في كل ناحية من المغرب ملك و سلطان ووزراء و جنـود و رعايـا و خدام.

وكان الحوز من نصيب المولى هشام بن محمد الذي ءازرته القبائل من دكالة ورحامنة و عبدة وشياظمة، وكان الرجراجيون طبعا في الطليعة، و كان للقائد العبدي عبد الرحمان بن ناصر الجرموني كبقية قواد الناحية دور كبير في هذا المجال، و لكنه بدأ يتآمر لإخراج البيعة إلى المولى الحسين بن محمد الشيء الذي عارضه المقدم الطاهر ووقعت حروب بين القبيلتين العبدية و الشيظمية من جراء ذلك: والسيد عبد الرحمان بن ناصر مع الحاج محمد بن العروصي راجعا أنصارهمـــا و أرادا نصر مولاي الحسين بن محمد أخ المولى هشام، و قد تبين للمولى هشام أن عبد الرحمان بن ناصر إن سمع خبر مولاي سليمان قادما للحوز يكون أي بن ناصر-تحت طاعة المولى هشام وإلا فالتمـرد و الفوضى.

وأخيرا رفض الجد الطاهر خلع البيعة الهاشمية ومد الولاء لمولاي حسين فادى الحال إلى المصادمة والحرب، وجاء عبد الرحمان للزاوية (ابن حميدة) وهدمها، غير أن الشياظمة تالبوا عليه وهزموه هزيمة شنعاء، فتاب إلى الله وبنى الزاوية كلها، وحلف المقدم حتى يهدمها ، وفعلا هدمها إلا الباب منعه منه رجراجة ليبقى اثرا و تذكرة وهاهو ما يزال موجودا بمصاريعه من زمانه هذا رحم الله الجميع"[86]

وقد قدر المولى هشام هذا الموقف حق قدره وعرف لرجراجة مكانتهم، على رأسهم مقدمهم الذي بعث له بهذا الظهير و نصه بعد الحمدلة و التصلية:

المرابط السيد الطاهر وكافة مرابطي رجراجة، أعانكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: اعلموا أنكم خدامنا و أهل محبتنا من حياة الوالد رحمه الله وتامركم أن تقدموا لحضرتنا العالية بالله مع خدامنا الشياظمة وعلى هذا عملكم، والسلام في 16رجب 1206هـ.

وحينما انجلت الغمرة وصلحت الاحوال باستتباب الأمن والامان وتربع على العرش المولى سليمان وصالح اخوته، كان المقدم ومن خلاله كل الرجراجيين في طليعة من أيد الملك العابد الزاهد الصوفي الذي كانت له مواقف جليلة مع رجراجة وظهائره في ذلك مختلفة المواضيع والغايات ومن جملتها هذا الذي بعثه للمقدم وقد وقعت حرب بين الشياظمة وحاحا ولم يتدخل فيها الرجراجيون، يطلب إليه وإليهم التوسط لإصلاح ذات البين بين القبيلتين، وجاء فيه: الطائفة الركراكية أعانكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد، يصلكم أمرنا هذا، نامركم أن تقفوا موقف الجد و الحزم حتى تسعوا في الصلح الذي سماه الله خيرا بين قبيلتكم الشياظمة و قبيلة أهل حاحا حتـــى نجدكم إن شاء الله انتم وهم ذاتا واحدة و كلمة واحدة، ونفعل الخير مع الجميع ، إذ قبيلة الشياظمـــة و قبيلة حاحا جيران، فلا ينبغي لهم التناحر بينهم، وكان صلى الله عليه وسلم يوصي على الجار حتى ظن أن الجار يورث الجار، وذلك الثغر الصويري السعيد أسسه والدنا رحمه الله وبرد ضريحه في الجنة، وجعله معظم ومحترم، فيجب على كل مسلم أن يسعى في طلب الخير إليه، وأنتم الطائفة أولى من يقوم بذلك حتى تكونوا مع إخوانكم أهل حاحا كما كنتم في أيام والدنا قدس الله روحه ، وها وصيفنا ابن عبد الصادق يخبرنا بوقوفكم و ما فعلتم والله يعينكم و السلام في 12ج الاولى عام 1209،و توفي هذا المقدم سنة 1214هـ.

و لست ادري ما هي الأسباب التي دفعت الرجراجيين للوقوف على الحياد في قضية هامة كهذه إلا أن يكون الامر.

-لا يستحق الاخذ و الرد وقد تكون وراءه أسباب واهية كهذه الاحتكاكات التي تقع دائما بين الجيران خاصة و أن الصويرة منطقة يمكن أن تكون سببا لذلك و هي عاصمة لكليهما.

-أن الحق مع اهل حاحا فكانت المروءة و الاخوة الإسلامية تقتضي عدم التمادي في الاعتداء

-إن الرجراجيين بذلوا فعلا جهودا لوقف النزيف ولكنها لم ترق إلى ما يريده السلطان فبعث ظهيره السالف.

- العلمـاء و المتصوفون:

كانت هذه القناة مهمة جدا في راب الصدع بين المخزن سواء في سلطته العليا أو نوابه بالناحية، وبين الناس وذلك لما كان للعلماء والمتصوفة من اقتدار وسمعة عند المواطنين وكثيرا ما كان المتصوف عالمـا و العكس صحيح إلا في النادر مما جعل عملية التسوية و الواسطية تحقق مبتغاها لانها صادرة فوق ما ذكر عن عقل متفتح متنور وصدر سليم.

وكان العلماء خاصة المتصدرين منهم-غير مجهولين لدى الدوائر المخزنية العليا إذ هناك مائة طريقة و طريقة لمعرفتهم و كشف ءارائهم و الوقوف على نواياهم ، إذ كثير منهم درسوا بفاس أو مراكش و مجال العلم دائم مفتوح لمعرفة من يتعاطاه، وكثير منهم صاحب فتوى ودرس يقصد من أماكن بعيدة للتثقيف عليه و الاغتراف من ينابيعه و الوقوف على ما نص الله من أحكام في قضية من القضايا يجبه بها الخصم وتربح الدعوى، و كثير منهم كان متبتلا خاشعا يتجمع حوله المريـدون و الاتباع...ثم هناك المتولون من الصغير إلى الكبير يحرصون على أن يوصلوا كل شيء و يطلعون من يهمهم الأمر على المستجدات بغية الزلفى و القربى أو الانتقام و الإذاية ..إلا أن السلاطين لم يكونوا ياخذون بنظرية المتولي في حق العالم أو المتصوف لإدراكهم أن العلماء ورجال السلطة قلما يتوافقون وقلما يكون الود بينهم صافيا رقراقا.

هذه المكانة التي للعلماء وهذه الثقة التي وضعت فيهم جعلت الناس يتحلقون حولهم وينفذون أمرهم ويقبلون استشارتهم و يسارعون فيما به يامرون، ولم يكونوا يامرون إلا بما يرونه صالحا نافعا..

ولو تتبعنا مواقف السلاطين و الوزراء و غيرهم من العلماء و المتصوفين، ولو أردنا أن نحصي ظهائرهم ورسائلهم إليهم وتحبيساتهم من الكتب عليهم لطال بنا الأمر ، ولكننا ناخذ فقرة من ظهير لمولاي عبد الرحمان بن هشام للفقيه الشيخ عبد الله السكياطي حينما نقضت زرارة و الشبانات البيعة: " فانشدك الله هل لحق زرارة و الشبانات ما يوجب نقضهم وشق العصا و مفارقة الجماعة في مرضاة من عصا ، التي من فارقها قيد شبر مات ميتة جاهلية ، فاين هم من قوله تعالى: " يايها الذين ءامنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم وقوله صلى الله عليه و سلم "اسمعوا و أطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشي كأن راسه زبيبة" وقد بايعونا بيعة شرعية و أعطوا عليها أيمانهم في المنشط و المكره، فما وجه نقضهم وقطعهم السبيل و إيتائهم في ناديهم المنكر...إلى أن يقول: " فتعين على جميع المسلمين قتالهم كما لا يخفاكم، وعليه فيتعين على أمثالكم أن تعرفوا العامة حقيقة ما سردناه من الآي و حديث خير الانام وتبذلوا في مرضاة الله وسعكم، وتتوجهوا إلى هذا المهم بأنفسكم، وقد أعفيناك أنت في خاصة نفسك إذ من قام على عذر كمن راح انبب للتوجه مع القبيلة الشيظمية إخوانكم المرابطين بركة في وسطهم و إحياء لسنة أسلافهم ، فقد جاهدوا في الله حق جهاده بانفسهم و أموالهم، وسابقوا إلى جنة عرضها كعرض السماء و الارض، وأدوا من ذلك الحق المفترض فحازوا فخرا فياله من فخار و أرغموا بعزهم انف كل جبار ممار، وهذه سنتة صلى الله عليه وسلم فقد باشر الغزو بنفسه مرات وقال: " وددت لو أقتل في

سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل لما اراه الله في ذلك من الحسنات وعلو الدرجات، ونعهد إليك تخبر جميع القبيلة الشيظمية، فإنا أبحنا لهم أكل أموال المفسدين ذا وبلال، و أمرناهم بالقبض عليهم وإيصالهم لسجن الصويرة الخ.. وكتب في صفر 26صفر 1244هـ .
وليس فوق هذه المهمة من مهمة يكلف بها عالم .

- القضـــاة:

والقناة الثالثة هي قناة القضاة، ومركز هم العلمي و الديني لا يبيح لهم ما أبيح للعلمـــاء والمتصوفين لأنهم مصدرو أحكام و منفذوها، وقد يكون الأمر حسلسا إلى أبعد حد فيتسبب القاضي بموقفه في مشاكل قد يراها عادية سهلة على النطاق المحلي و لكنها من جهة أخرى تحدث أخذا وردا وربما حتى انتقاما بهجوم سلاحي أو اقتصادي أو تآمري دولي، خاصة بعد أن اشرابت أعناق الأوروبيين إلى المغرب وبدءوا يعتبرون أن الأشطر منهم من كان سباقا للانقضاض عليه.

ولو تتبعنا مثلا قضية الحبس الرجراجي بالصويرة حيث باعه أحد القواد إلى تاجر إنجليزي، فقام الرجراجيون مطالبين بحبسهم فتدخل القاضي الحاج علي بن عبد الصادق الرجراجي الصويري وقام بالواجب الشرعي حيث انصف المعتدى عليهم لكن التاجر الإنجليزي تشبث بما رءاه حقـــا و تدخلت دولته فاضطر السلطان لعمل حل كان في صالح الجميع [47] ، لظهر لنا ما رمزنا إليه.

وكان من القضاة من هو حديدي المواقف لا يتزعزع عن الحق ولو كان ما كان ومنهم من هو ثائر ضد الاستعمار لا يابه بسلطته ولا يتقيد بقيوده كالفقيه القاضي محمد بن علال بن عبدان الكراتي الذي خاصم الحاكم الفرنسي بالصويرة في قضية شرعية فقال له الحاكم: اخرج من محلي ، فاجابه القاضي: المحل محل السلطان لالك " وخرج احتجاجا ولم يرجع للصويرة إلى أن لقي ربه سنة 1363هـ.

- رجـال السلطـة:

ورجال السلطة مذ كانوا وهم قنوات واسعة وضيقة، صافية وكدرة بين القاعدة الشعبية وبين رأس الهرم إلا أن هؤلاء الرجال منهم من يكون في المستوى مراقبا الله في الناس قبل تلبية رغباته، آخذا بيد ضعيفهم معينا لمحتاجهم مشاركا إياهم ولو ببسمة في أحلك الظروف، نائبا عنهم بالحسنى أمام من أقامه في منصبه، ساهرا على حقوق الدولة و ءاخذا واجباتها دونما تعسف أو ظلم أو تعصب أو ادعاء ومعاقبة و منهم من لا تمثل عنده كل هاته شيئا فهو رجل السلطة و السلطة سيـف و هو سياف ومن وضعته الأقدار تحت نظره فعليه أن يكون حمار رحى يسير و العين مغمضة، يدور ويدور كما يدور خروف الصغير حتى إذا كل ومل و عيي سقط لا هتا ليستبدل بآخر ولاحق له في طلب الراحة بل لا حق له حتى في التساؤل لم مللت وعييت ؟ وكثيرا من هذه النماذج مرت في التاريخ الإنساني ولم يكن التاريخ المغربي بيضة ديك فينجو منها، ولم يكن التاريخ الحديث بدوره خلوا من تعسفاتها، فما اكثر النماذج السيئة التي لم

تفعل خيرا ولم تعمل على أن ينتشر بين الناس فعاشت معها أزمتها الداخلية و الخارجية،النفسية والأخلاقية الوارثة والموروثة إلى أن لفظتها الحياة، و تجاوزتها الأحداث ، وبقيت على الهامش لا أثر و لا ذكر..

و منطقة رجراجة وزواياها بالخصوص كثيرا ما عاشت أياما سعيدة بيضاء يجملها عدل العامل ونبل أخلاقه و كريم محتده ووقوفه عندما حد له مطبقا الأوامر مدخلا عليها نكهته إذا دعت الظروف و طالبا من المخزن إرجاء ما يرى أن الناس لا قدرة لهم على تحمله و لا على أدائه، ولكنها في نفس الآن عاشت أياما أخرى كئيبة بئيسة لا طعم لها ولا مذاق متمنية موت العامل ولو بالثورة عليه وقتله وتخريب داره والانتقام لكرامتها وأمنها وآمالها.

وكانت زوايا رجراجة في الغالب معرضة لهذا الفعل الشذوذي من العمال خاصة بعد عبد الرحمان بن ناصر كانما ينتقمون لزميلهم الذي ذاق هزيمة منكرة كما سبق.

ولا يخفى أن للسياسة دروبا و شعبا بعضها فيه ضوء ينفذ منه من الجهة الأخرى فتستقيم الرؤيا ولو فيها بعض التعتيم و اللا توازن ، و بعضها ذو ظلام دامس ووجه عابس ، و منطق دارس، وكلا يابس.

و قد تكون الحاجة فعلا داعية إلى نوع من الصرامة جراء:

-أوامر من السلطات العليا بغية تقليم الأظافر.

-أو ابتغاء اقتضاء حقوق للدولة ترتبت على الناس وطال أمد تسديدها فيخشى التراخي.

-أو شعور العامل بان خطرا ما يتهدد الناس و الناحية فلا بد من الانتباه وإظهار العين الحمراء وارتكاب بعض الشطط.

أوعلاقات الناس ببعضهم البعض حيث لم يعد الود قاسمها المشترك و،الأمان بينهم متطلبا ومعضودا عليه بالنواجذ، وقد تكون أخرى ، ولكن ما القول إذا كان أولائك المفروض فيهم الحماية والتواصل هم المساهمين في اللا تواصل رغم النداءات المتكررة من مختلف الملوك بعدم التحامل على رجراجة ورغم النهي والزجر والظهائر حيث كان ملوكنا يعرفون أن المتولين ينقمون على الزوايا منزلتها عند العواهل فكانوا يهتبلون الفرص للإيقاع بها وبمتساكنيها ، بل إن بعض أعمالهم كانت تعد مآسي حقيقية كمأساة زاوية بن حميدة على يد بوجمعة التلاوي الذي أخلى الزاوية خمس سنين

وكمأساة زاوية واسمين حينما أدى الصراع بين القواد إلى أن ينزع القائد الحاج لحسن خبان الظهائر من مقدمها و يولي مكانه آخر ليلجئه إلى مغادرة الزاوية

وكمأساة زاوية تالمست حينما هاجمها القائد أحمد الأكريمي ففضح أعراضها واستصفى أموالها و متاعها و أذاقها العسف و النكال لا لسبب إلا لأن الود بين المقدم والقائد كان مقطوعا، وقد كانت نتيجة هذه المأساة ظهيرا من الملك الحسن الأول صادرا سنة 1297هـ يوبخ القائد المذكور، وأخر لأمناء القبيلة لنفس الغرض على تحاملهم على زوايا رجراجة و تحميلهم من مغارم العامة ما لم يكن لهم به عادة... فإن رجراجة من أعظم زوايا غربنا " كما جاء في الظهير.

و كماساة زاوية أكرات حينما تعاونوا عليها و افقدوها املاكها و صيروها حبسا

و كماساة المليجيين بشيشاوة والبوعزويين بجمعة اسحيم من قبل الحافظي وآل عايير بعبدة على يد القائد عيسى بن عمر الذي شكاه مقدم رجراجة ساعتها الشيخ البشير بن علي للدوائر العليا، و بعد بحث و تقص توصل المقدم بجواب من المولى الحسن الأول ملخصه: وحيث طولب بذلك أنكــر وعليه بحيث لا بينة تشهد لهم فيحلفون و يستحقون ما يدعون به و يغرمه لهم، أو يحلف هو و هم ينهبون لحال سبيلهم، و طلبت أن نجعل لهم مقدما فإننا لم نجد لهم عادة بذلك ...و السلام"

بل إن بعض الزوايا كانت تنتزع من يد قائد عقابا له لتضاف إلى آخر مكافأة كما وقع في شأن زاويتي كرات و بن حميدة حينما انتزعتا من القائد أحمد الحاجي و اضيفتا إلى خبان في رسالة مؤرخة ب 20يبراير سنة 1913-13ربيع الأول 1331عدد: 166هـ ونرى أن ذلك راجع بالإضافة إلى موقف القائد الذي كانت جيوشه تحارب الجيوش الفرنسية في شيشت" إلى كون هوى الزاويتين تململ لفائدة مولاي عبد الحفيظ قبل ذلك.

ولقد سبق في إشارة إلى أن المقدم كثيرا ما تسند إليه وظيفة الشياخة ، ولعل ذلك كان مقصودا لذاته، إذ كان يراد من المقدم نشر الأمن و الطمأنينة حيث إن السلطة المعنوية إضافة إلى الزمنية كانت مساعدة له على تحقيق هذا الدور، ولم يكن اي قائد- مهما علا كعبه- يتوفر على ما يتوفر عليه الشيخ مقدم الزاوية، فقد كان الناس ينظرون إلى القائد على أنه مستبد يسفك لغير ذنب و يقتل على الظنـة ويهلك الأخضر واليابس ويساوي المظلوم بالظالم بينما الشيخ المقدم يغايره في النهـج والسلوك.

لقد كانت للدولة دائما طرق أخرى: ووسائل اخرى و حيثيات أخرى تتوصل بها إلى ما تريـد، و لكنها كانت منطلقة من مبدأ الفضيلة الأخلاقية في التعامل، و حينما تصبح السياسة مراعية للأخلاق ينام الناس ملء جفونهم، و تلك كانت حياتنا قبل أن تتغير الاحوال فانقلبت الموازين و تحطمت السلوكات المعقولة وانهد الجدار.

هوامش الفصل الرابع

43- دار المنصور للطباعة و الوراقة الرباط -1977ص: -70/67عن الحسين إسكان في تاريخ إقليم آسفي ص: 251

44- نفس المرجع ص: 211 ترجمة محمد نجيدي.

45- المعزى في مناقب الشيخ الولي أبي يعزى للشيخ أحمد بن بلقاسم التادلي الصومعي ص: 231 مخطوط بخزانتنا.

46- الحضارات الإفريقية- مرجع سابق ص: 67.

47- تاريخ إقليم آسفي مرجع سابق ص: 252/251

48- تاريخ إقليم آسفي مرجع سابق ص: 252/251

49- الاستقصا ؛ ج 2ص: -99ط ، دار الكتاب- الدار البيضاء. 1954؛ وهذه الاوضاع لم تكن مستقرة حتى داخل البيت المالك فلن مؤامرة قام بها (قوم من قرابة ابن تومرت يعرفون بايت ومغار ادت

الى قتلهم بعد متطوع من فدى عبد المومن كما في المعجب ص 233 بالطبعة الاولى (1368/1949)

50- يذكر المراكشي ان يعقوب المنصور (حفيد عبد المومن) انزل بكتب مالك محنة كبرى، فانقطع في ايامه تعليم كتب الفروع وخافه علماء المالكية واحرق كتبهم بعد ان بجرد مافيها من حديث وقرآن، وقد احرق منها جملة في سائر البلاد كمدونة سحنون وكتاب ابن يونس ونوادر ابن ابي زيد ومختصره وكتاب التهذيب للبرادعي وواضحة ابن حبيب وماساير هذه الكتب ونحا نحوها. الدولة الموحدية في عهد عبدالمومن د عبدالله علي علام- دار المعارف مصر سنة 1971-القاهرة.

51- ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض ج: 8 ص 71 (1403-1983)

52- المستفاد بمناقب العباد للتميمي الفاسي-دراسة محمد الشريف، ص:43 ط-1 غشت 2002

53- التشوف ص149

54- المستفاد ص 46 والتشوف ص 188

55- التشوف ص: 304/171 مرجع سابق

56- نفسه ص: 319

58- المستفاد- دراسة ص 76/75

59- حليمة فرحات وحميد التريكي (كتب المناقب كمادة تاريخية) ص57. عن المستفاد ص:54

60- حليمة فرحات وحميد التريكي (كتب المناقب كمادة تاريخية) ص57. عن المستفاد ص:54

61- الياقوتة الوهاجة في مفاخر رجراجة- للكانوني. نسخة خطية لسنة 1937

62- الحلل الموشية ص: -130ط: -1مطبعة التقدم الإسلامية-تونس

63- أنس الفقير-ترجمة الفقيه المذكور من السيف المسلول

64- آسفي و ما إليه للفقيه محمد بن احمد العبدي الكانوني /مخطوط عن كتاب الحديقة.

65- آسفي و ما إليه للفقيه محمد بن احمد العبدي الكانوني /مخطوط عن كتاب الحديقة.

66- العدد 62 السنة 5 - ربيع الآخر 1405 /يناير 1985

67- العنوان الأصلي: (الثغور الباسمة في أعيان وقضاة و علماء رجراجة و عبدة و الشياظمة).

68- كان الأستاذ فرناندو ذي اجريدا/مدير المعهد العربي الإسباني بمدريد، قد قام باستفتاء حول الادب المغربي الحديث سنة 1972 متكون من 17سؤالا و كنت ضمن من بعث لهم، وقد نشر هذا الاستفتاء د. حسن الوراكلي في كتابه (نظرات في الادب المغربي الحديث) ص: 88/86، كما نشر بمجلة المنار المحتوية على أجوبة متعددة بالإسبانية .

69- محاولة في تاريخ الزوايا والطرقية بالمغرب لميشوبلير ، ترجمة : ذ الحسين فقادي مجلة أمل عدد -20/19ص : 13

70- نفس المرجع و الصفحة

71- الاستقصاء : ج -5 ص -189دار الكتاب/البيضاء 1954

72- الاستقصاء ج : 5 ص: 107

73- الاستقصاء ج : 5 ص: 107

74- الإعلام بمن حل بمراكش و اغمات من الاعلام/ عباس بن إبراهيم ص : 263 و ما بعدها : ج: 4 ط: 1

75- حسن جلاب عن العيون المرضية ص -164 أعمال الملتقى الفكري الأول بمدينة آسفي-حول رجالات رجراجة.

76- نفس المصدر و الاستقصا 84/6 دار الكتاب .1954

77- نفس المصدر و الاستقصا 84/6 دار الكتاب .1954

78- درر الحجال ، في مناقب سبعة رجال-دراسة و تحقيق د .حسن جلاب ص: 125/124ط 1421هـ/2000م المطبعة و الوراقة الوطنية نمراكش

79- المحاضرات- اعداد: محمد حجي-الرباط /1976/1396مطبوعات دار المغرب للتاليف والنشر والترجمة نسلسلة الادب (1)

80- انظر السيف المسلول

81- السيف المسلول ج -1مرجع سابق ص 6

82- المعسول ج -4 مرجع سابق
83- السيف المسلول ج 2 ص: 225
84- اما الثلاثة الباقون و إن لم يتقدموا بظهير فإن كلا منهم مثل دوره.
85- وما زال رجراجة مكناس يتحدثون بهذا ويتناقلونه كما حدثني به غير واحد.
86- لم تبق المصاريع و لا ما يضارعها كما في السيف إذ تسلط من افسد الكل و قضى على جمالية اشياء وبناءات وآثار تلبية لنظرة شوفينية قاصرة
87- السيف المسلول.
88- استطعنا الحصول على هذا الظهير مؤخرا، و كانت النية أن يوتى به في هذا المختصر لانه فريد في بابه ولكنه طويل ، فآثرنا الاكتفاء بما بقي عالقا بذهن صاحب السيف المسلول و هو لا يخرج عما في الظهير الشريف

الفصـــل الخامـــس

العلم و الثقافة عند الرجراجيين

أ-العلماء

لقد كان لقضية العلم و الفكر و الثقافة بعامة شأن كبير لدى الرجراجيين وإنها لقصة رائعة تروى، وإنها لمفخرة جليلة ترددها الألسنة و الأقوال و لاتمل، و إنها لمسيرة أشاد بها القالي قبل المحب، و يندهش المرء لهذا الحشد من العلماء و المثقفين الذين زخرت بهم كل الزوايا الرجراجية والرباطات، ولهذه الكتب التي ألفت في مختلف فروع الثقافة الإسلامية من فقه وأصول وتفسيـــر وفرائض ونحو و بلاغة وكل أنواع المعرفة، وذلك راجع إلى:

1-العناية التي كان يحظى بها العلم لدى أرباب الزوايا وإلى مكانة العالم التي لا تعد لها أية مكانة أخرى سواء من ناحية الثروة أو الشجاعة أو الكرم أو أية فضيلة أخرى، فقد كانوا يرون في العالم المشكاة المضيئة والنبراس الهادي والإمام الذي يقضي والحاكم الذي لا ترد حكومته.

2- احتقار الجهل و البعد عن كل أسبابه حتى إن الذين لم تسعفهم ظروفهم للاغتراف من ينابيع العلم الثرة، كانوا في الغالب حافظين لكتاب الله برسمه وقواعده ومنهم من توفر على حفظ قراءات تجاوزت السبع.

3- الإيمان بحق الجماعة والفرد في أن يتحقق فيـما الحديث الشريف: العلم فريضة على كل مسلـم ومسلمة إضافة إلى أن منطقتهم كانت غاصة دائما بالقوافل والحركات والدعوات وهذه من ضمن رجالاتها علماء قادرون على التأثير في غيرهم بقوة العلم والفهم.

4- هذا العدد من المدارس العلمية التي أقيمت هنا وهناك ، ففي كل زاوية مدرسة علمية إلى جانب الكتاب القرءاني، وكل مجموعة من الدواوير لها فقيهها وإمامها، ولو حاولنا تتبع كل المدارس لخرجنا عن المقصود لذلك نعطي نماذج ليس إلا.

أ- مدرسة الزاوية السكياطية وتخرج منها الكثير من العلماء والقضاة والعدول والمدرسين وممن حملوا لواء العلم خفاقا نذكر بالإضافة إلى من سبق: إبراهيم بن محمد السكياطي، سعيد بن إبراهيم الزرايبي، محمد بن عمر بن أبي جماعة.

ب- مدرسة الزاوية القرمودية ولها دورها ورجالاتها و علماؤها منهم: محمد بن علي بن الحسن المتوفى سنة 1012هـ، عبد الله بن حسين المعروف بحوش النخلة وكانت له مكاتبات مع إمام تلمسان الشيخ عبد القادر بن محمد، و إمام أطرار الشيخ محمد بن سعيد، و خصومات علمية توفي عام 1106هـ، عبد الله بن احمد وكان إماما في العلوم العقلية والنقلية وهو الذي مارس الصلح بين القبائل المجاورة لمراكش وبين أهلها، وعبد الله بن حمزة صاحب كتاب: الاذكار الممحقة للذنوب بالهيللة والاستغفار

عندنا نسخة مخطوطة.

ج- مدرسة الزاوية السعيدية ، وانجبت ائمة أفذاذا تلونت معارفهم العلمية منهم: مسعود بن عبد الرحمان بن المفضل و كان من آهل القرن الخامس الهجري، و لقب بأبي البحر لتبحره في العلوم، وعبد الرحمان بن علي بن عبد الجليل وعبد الله بن أبي القاسم الذي يقول عنه أبو الحجاج: إن الفرار من الظالم بن خزار وقع في أيامه.

د- المدرسة البوطريطيشية وهي نفحة من الزاوية السابقة و بها أعلام عديدون منهم: احمد بن محمد الابيهي و ناهيك به، وقد أفتى مدة خمسين سنة، وله ثمان إجازات من علماء فاس توفي عام 1346هـ والحسن بن محمد وكان من أصحاب الفتوى بدوره توفي عام 1336هـ، و عبد الله بن الطيب .

هـ - مدرسة الزاوية الكراتية، و قد أعطت الكثير وزينت المفرق الرجراجي بما منحته تربتها من أفاضل العلماء كمحمد بن عبد الله الذي كاتب اولاد الشيخ محمد بن عيسى في أمر ما كانوا يفعلونه من بدع لا تمت إلى الدين بصلة و التي منعها جلالة المرحوم محمد الخامس ، سعيد بن حسن، محمد بن عبدان و له كتاب في العشب و النباتات، وكتاب في التوحيد، توفي بحاحة وهو في مهمة إصلاح بين تلك القبائل ودفن بزاوية أبي البركات وعليه قبة هناك سنة 1260هـ .

و-مدرسة الزاوية البنحميدية، وهي غصن من الزاوية البطريطيشية السعيدية، و هي كاخواتها نبغ فيها علماء، ودرس بالتشديد بها آخرون وتلقى العلم بها كذلك العديدون.

فممن درسوا بها: الفقهاء التطواني و المصيلحي و مبارك الحميني و أخوه محمد بن إبراهيم، وعبد المالك المتوكي والحسن الحمراوي والعباس بن عبيدة المطاعي وعبد الله بن الطيب .

وممن زارها من الأعلام: الشيخ عبد السلام الناصري صحبة عائلته، والشيخ عبد الحي الكتاني صحبة عائلته مرتين والفقيه محمد بن أحمد العيدي الكانوني وغيرهم.

ومن ابنائها الشيخ أحمد بن عبد المالك وكان قواما على المدرسة وشؤون الطلبة حتى أنفق عليهم جميع ماله وكتب عدة سلك وبخزانة الوالد مصحف بخطه انهاه سنة 1200هـ، والاخوان عبد الرحمان والحميد ابنا الطاهر بن علي وكانا عدلين، والاخوان المقدم أحمد بن البشير وأخوه محمد الذي اشرنا إليه أكثر من مرة، عبد الله بن محمد و مؤلفاته عديدة بعضها مطبوع و الباقي ينتظر دوره، عبد الحي بن عبد الله المتوفى سنة 1399 هـ/1979م وكان عدلا، محمد بن محمد المقدم المتوفى سنة 2001م، عبد الجليل بن عبد الحميد وكان عدلا، وقل مثل ذلك في الزاوية البوخابية والرتنانية والتالمسية.

وحينما نلتفت نحو مراكش أو فاس أو المدينة المنورة أو الاندلس أو مكناس أو الرباط أو عبدة أو دكالة أو سوس أو غيرها نجد الرقم يتضخم ، وقد لعبت المدرسة الدكالية المعروفة بمدرسة ابن الشاوي دورا هاما وبارزا في تلك الربوع وبها علماء أفاضل ومدرسون ومؤلفون متمكنون منهم عبد الله بن الجيلاني وعبد الله بن علي وعبد

السلام بن الحساني المدعو سيبويه.

أما في حاحا و سوس فتلك مأثرة أخرى خالدة للفقهاء الرجراجيين حتى أن الفقيه المختار السوسي لم يسعه إلا التنويه بهم في كتابه خلال جزولة في ترجمة الإمام حسن بن طلحة الرجراجي السعيدي الواصلي صاحب الشرح على المدونة حيث قال: وقد كان لركراكة سعي مشكور في نشر المعارف في سوس قبل القرن العاشر، و سبب موت الفقيه سقوط كتبه عليه.

و من الأعلام الرجراجيين: عبد الواحد بن الحسين الرجراجي السوسي الذي قال عنه البعقيلي: " وقد ملئت خزائن العلماء بتواليفه رضي الله عنه ، و علي بن أحمد بن يوسف الرجراجي الرسموكي ولـه تآليف منها، شرح الفية بن مالك ، شرح الجمل، شرح فرائض ابن ميمون، شرح الكبرى و الصغرى للسنوسي، وحقائق في الأعراب، و يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمان و اللائحة تطول وتتضخم لو تتبعناها هنا أو هناك، لذلك نكتفي بما كتبناه"[89]

2- القضـــاة:

و كما فعلنا مع العلماء بذكر نماذج فقط نذكر كذلك نماذج من بعض القضاة كالسادة: محمد بن علال الكراتي الذي كان قاضيا على الأحلاف وزواياها و هو الذي قال له أحد الوزراء و كان يرأس لجنة الامتحان: (من حقك أن تكون قاضيا بالحاضرة و لكن لاحول ولا قوة إلا بالله .)

وعبد الله بن بوجمعة بن مسعود السكياطي ، تولى القضاء في ايام مولاي عبد المالك بن إسماعيل العلوي، وعمر بن أبي جماعة السكياطي ، وبو عزة بن الجيلاني الرجراجي المراكشي واخوه القاسم بن الجيلاني المتوفى سنة 1282هـ/1865م ، وابنه عبد القادر بن قاسم ، وعلي بن أحمد القرمودي قاضي مراكش، الموصوف بحجة المستفيدين، موضح الدلائل وكاشف غواص المسائل توفي عام 1299هـ/1881م .

و الحاج علي بن عبد الصادق البطريطيشي السعيدي وصفه الشيخ عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس بصاعقة العلم وله ترجمة حافلة هناك، و كذلك ابن أخيه عبد الصادق وسعيد بن عمارة الحميني ومحمد بن سليمان العبدي الشهلاوي الواسميني تولى قضاء عبدة وآسفي، وابراهيم بن محمد الكراتي في أيام السعديين، وأبي مهدي عيسى بن عبد الرحمان النسب السكتاني النشأة ، ولا نحتاج لذكر بعض النظار والعدول فذلك طويل.

هوامش الفصل الخامس

89- للتوسع يرجع للسيف المسلول: ج: 2

الفصـــل الســـــادس

بين موسم الرجراجيين و دورهم المرتقب*

مواسم جديرة بالاهتمام :

لا يمكن للإنسان في الواقع إلا ان يندهش حينما يسمع أن مواسم تبقى متصلة الانعقاد لما يقرب من ستة اسابيع، ويتضاعف اندهاشه ويكبر حينما يعلم انه لم يتحدث التاريخ ولا الناس عن حوادث قاتلة، أو فتن ماحقة قام بها الرجراجيون ضد انفسهم أو ضد غيرهم منذ عرف للأدوار وجود، وحتى إن وجد شيء من ذلك فابحث عن عاملين رئيسيين تجدهما حاضرين:

1) مكر المتولين و محاولة إفشال مشروع المواسم من أصله و بالتالي القضاء على إشعاع كبير طالما قض المضاجع و أفسد سياسة الليل و الظلمة و ما يحاك فيها. . ورغم أن مظاهر للتوقير و الاحترام كانت تبدو في أحايين كثيرة من عدة عمال في وقت واحد مثلا فمرد ذلك بالدرجة الاولى للتنافس وكسب ود الزوايا الذي سرعان ما ينقلب إلى مماحكات و تنازلات و تآمرات.

2) الاختلافات و الاختلالات التي كان يحيكها من له مصالح شخصية فيهيئ أتباعه و السائرين في خطه لتنفيذ ما حلم به السيد أو ما دفع إليه ممن هم أكبر منه منزلة و أوسع سلطة و انفذ كلمة.

وغير هذا فقد ظلت المواسم لقرون طويلة تؤدي رسالتها الدينية أولا والتجارية ثانيا والثقافية ثالثا ولقد تحدثنا عن إيقافها لمدة ما وفي عهد هذه الأسرة الحاكمة أو تلك، ولكن النبع سرعان ما ينطلق من جديد ليسقي الأغراس ويروي الظماء

إن هذه المواسم جديرة بالدراسة المتانية الواسعة الهادفة وقد يتولاها غيرنا أو يهيئ فيها طالب جامعي أطروحته، ولكننا نشير إليها بسرعة لنقول:

لقد قامت بدورها في الميدان العلمي والتثقيفي فكم من علماء كانوا يدورون مع الدور دارسين مبينين للناس أمور دينهم وتاريخ بلدتهم وصحبة جدودهم، وقد أشرنا إلى الفقيه اليوسي الذي ابتدأ كتابه به (المحاضرات) بدور سكياط وهو ضيف على الفقيه أبي جماعة السكياطي ، كما أشرنا إلى ما كتبه الفقيه محمد بن البشير المقدم الرجراجي وكم من جهابذة في علم القراءات كانوا يدرســـون ويطبقون ما درسوه بخيمة رجراجة ، ولم يذكر الناس أبدا أن المواسم تقام من دون فقيه راتب للجمعة وفقيه راتب للصلوات الخمس ومؤذن وحزابة يقراون الحزب الراتب بعد صلاة المغرب و الصبح.

وفي الميدان السياسي لعبت كذلك دورها المتميز، وكل ما اشرنا إليه في الفقرة السالفة يعد دعامات من دعامات تركيز الحكم وتحبيب سلطته، ولقد وجدنا مثلا السلطان سيدي محمد بن عبد الله يبعـث

لرجراجة بظهير سنة 1190هـ، قائلا: " إلى الجناح الابيض ساداتنا رجراجة كافة

من غير تخصيص، سلام عليكم و رحمة الله وبركاته، وبعد، فإن أحببتم رضا الله ورسوله نحبكم تدعو لنا وللإسلام عند ختم زيارتكم لانكم انصار النبي صلى الله عليه وسلم ، فالله يديم نصر المسلمين ءامين والسلام، في اثني عشر من صفر "1190

وكان الرجراجيون يبعثون للسلطان وفدا مهما بكتاب وهدية وهي عبارة عن كمية من التمر، وناقة بيضاء هدية في الاعياد ولازال الأمر قائما إلى الآن فيما يخص التمر بالنسبة للمواسم، وقد جاء في ظهير لمولاي الحسن الاول في 16 جمادى الأولى عام "1299وصل كتابكم مخبرين بتوجيهكم بركة التمر من الدور الركراكي المبارك وبعدم تقصيركم في الدعاء لجنابنا العالي بالله"[91]

وكذلك الأمر فيما يرجع للناحية الاقتصادية والاجتماعية فإن ستة أسابيع كل سنة لا بد أن تضخ دما جديدا في النسيج الاقتصادي للناحية خصوصا وأن كثيرا من القبائل تفد بسلعها والوان تجارتها إضافة إلى ما يستفيده الناس في علاقتهم الخاصة والعامة وما يحققونه من تعامل وترابط كثيرا ما يفضي إلى ترابطات عائلية وأخرى قبلية تكون سندا وأيدا لكل الأطراف.

ولا نتحدث عن المعروف والإحسان وإكرام الضيف بل المبالغة في الإكرام ولو ذهبنا نعدد أسماء المحسنين والمحسنات في كل الزوايا خاصة الميسورة منها خاصة من يسيرون أمورها لطال بنا المقام وناء بنا الشجر.

إلا أن هذه الأدوار، ولم يعد الزمان هو الزمان، يجب أن ينظر إليها نظرة جديدة متجـددة وجدية، فقد طال الأمد وهي ترزح تحت أثقاله،ماض مضى لم يكن كله خيرا، وتحررت كثيرا من الزوايا و النواحي من قيوده واثقاله ،ولم يبق سوى الرجراجيين الذين نرى أن مواسمهم يجب أن ينظر إليها بمنظار الحق والصوابية وما شرعت من أجله وذلك ب :

-تنقية الأدوار من الطفيليات والمناكر والمقالب فان المواسم بنيت على إقامة الدين والتسامــح وقراءة القرآن وخفض الجناح وما كانت ابدا معرضا للمثلات

- إبعاد ذوي المصالح الشخصية الذين لا يهمهم لا أمر رجراجة ولا مواسمها ولا تاريخها بقدر ما يهمهم ما إليه ساعون.

-بالنظر الجدي في الفتوحات وكيف يجب أن توزع ، فإن من لهم مصالح في إبقاء ما كان على ما كان يهمه دائما أن تبقى الأمور غامضة مضطربة لا تسير إلا بالالتواء وفق نمطية لم تعد تساير العصر، وحتى الهدية التي يبعثها جلالة الملك سنويا يجب أن يعاد فيها النظر، ولو صرفت هي والفتوحات في مشاريع تعود بالنفع كما اقترحنا مرارا لكان أفيد.

الدور المرتقب لرجراجة :

لرجراجة دور لا يستهان به بالنسبة للناحية وللمغرب كله ، وبما أننا نريد لهذا الدور أن يتبلـور ويعطي نتائجه من خلال بعض الاقتراحات التي لو أضيفت إليها أخرى من مهتمين آخرين للوصول إلى المبتغى.. فإننا نقترح وسبق لنا ونحن نحقق كتاب

السيف المسلول أن ألمحنا إلى شيء من ذلك.

1- المشاركة الفعلية في نهضة البلاد من خلال بلورة دورهم الجهادي والديني والعلمي والأخلاقي والاقتصادي والإنمائي بعامة.

2- جعل زواياهم كما كانت مقرات لذوي الفضل والتدين و المروءة ، والالتجاء إلى الله ودراسة العلم والقرآن بقراءاته المختلفة وتفسيراته المتنوعة إضافة إلى التصوف والمجاهدة

3- العناية بالشباب الرجراجي من حيث فتح آفاق معرفية قريبة منه كتأسيس نواة جامعية بالصويرة تحمل (جامعة رجراجة) أو اسم رمز من رموزهم.

4- فتح المجال أمام الزوايا الرجراجية و للإنسان الرجراجي لتشارك بدورها كبقية الزوايا الأخرى لتعبر عن ذاتيتها و تتحدث عن تاريخها بمختلف الوسائل و من خلال المنابر الإعلامية.

7- إبعاد الصبغة الفلكلورية و الرسمية المبالغ فيها، فما جعلت المواسم للفلكلور ولا للبيع والشراء وخلق رواج اقتصادي على اهميته، و إنما لرجراجة رسالة ادوها و ينبغي أن يؤدوها باحسن أسلوب و دونما تهريج و تهيج و تخويف و القفز على كل الحبال، و هذا يدفعنا للقول، إن أمورهم يجب أن يتولاها أناس في المستوى فالزمن زمن ثورة فكرية وإنسانية و ثقافية، والرجراجيون أصبح فيهم مثقفون كبار، وأساتذة مبجلون، وأطباء ماهرون، وسيلسيون جادون، وشباب متطلعون وأئمة هادون، وتجار ناجحون، وفلاحون منتجون، وموظفون مقتدرون، وهذه الحشود يجب أن تجد من يتكلم معها بنفس منطقها و إدراكها و تفكيرها و يفسح سبل التعرف على تاريخها وموروثها المجيد.

7- خلق جمعيات رجراجية حقيقية تكون بعيدة عن الدجل و الملق والهوى تتجمع في رابطة تساعد المقدم المنسق وكذا مقدمي الزوايا الأخرى.

8- خلق مباراة كل سنتين تسلم فيها ثلاث جوائز لأحسن البحوث في أي مجال من المجالات التي تهم الناحية عامة والرجراجية خاصة، وتسلم يوم اختتام الدور السنوي.

بهذا و شبهه يمكن أن ينفسح افق آخر جميل و جليل يعاد فيه للرجراجيين اعتبارهم، ويسيرون بخطى ثابتة في تحقيق رسالتهم السامية التي هي قبل كل شيء و بعد كل شيئ رسالة إسلامية طاهرة خالدة.

هوامش الفصل السادس

90 -كانت مواسم رجراجة تسمى (مجمع الاخيار).

91- السيف المسلول-الصفحة الأخيرة للغلاف،

الفصل السابع :

المقاومة بالزوايا الرجراجية :
زاوية ابن حميدة نموذجا

تقديم :

منذ أن ارتبطت بلادنا مع الشرق الإسلامي برباط الدين الإسلامي وهي تكافح كغيرها من الأقطار الإسلامية في سبيل عزة دينها وتقوية شخصيتها وبلورة انتمائها وإيجاد مكان مشرف لها تحت الشمس.

ورجراجة التي هي إحدى القبائل المغربية البربرية القديمة كان لها فضل السبق إلى الإسلام حيث وفد منها سبعة رجال على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمهم بلغتهم ودعا لهم ورجعوا لبلادهم ينشرون دعوة الله ويجاهدون في سبيله.

ولقد كانت لهم مواقف مشرفة إما ضد البورغواطيين الذين كان منهم كاسحا وإما مع غيرهم من الوثنيين والضالين، والمصادر تحفظ لنا أسماء الصحابة الرجراجيين الذين كانوا يتقدمون الصفوف كالسادة واسمين ويعلى بن مصلين وسعيد السابق وأخيه عيسى بوخابية ... بل إن كل واحد من هؤلاء كان له دور يؤديه إضافة إلى الجهاد، فمنهم من كان مستشارا للجموع ومنهم من كان مشرفا على صبغ ثياب المجاهدين ومنهم من كلف بضرب الطبل الذي بقي معلقا بضريح شاكر ابن يعلى إلى القرن السادس[91].

دور الزوايا الرجراجية :

ودور الزوايا الرجراجية دور غني جدا من الناحية الجهادية والعلمية والصوفية، ومتنوع كذلك، وهذا مرده لأسباب منها :

أ-تعدد الزوايا، ففي المغرب من الجنوب إلى الشمال ومن الشرق إلى الغرب زوايا رجراجية منتشرة خاصة في إقليمي الصويرة وآسفي حيث معقل الرجراجيين الأوائل ومساقط رؤوسهم، حيث أن مواسمهم التي تدوم قرابة ستة أسابيع متصلة تقام بهذين الإقليمين.

ب-تعدد النماذج الإنسانية بها من علماء ومجاهدين وصوفية وقضاة وعدول ووزراء وأهل البر والإحسان بعامة، ففي كل زاوية مدرسة قرآنية وأخرى علمية لصالح النشء وترقية الإنسان.

ج- تعدد الظروف المحيطة بها.

فكم تعرض الرجراجيون للضرر والتقتيل والتشريد ويقال إن ابن خزار المغراوي قتل من رؤسائهم في يوم واحد ثلاثين فردا، وابن خزار معروف أمره على عهد الدولة الإدريسية، هذه الظروف جعلتهم دوما متحفزين للجهاد ومتقدمين للصفوف ورافعين

اصواتهم بذكر الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يتاخر الرجراجيون أبدا في الدفاع عن حوزة الوطن كلما كان مهددا من الخارج حتى إنهم يقولون : إن القباب على الساحل الاطلسي من الصحراء إلى طنجة أغلبها قبلب رجراجية.

رجراجة والأسر الحاكمة :

ولعل دورهم الإسلامي الجهادي هو الذي ناى بهم عن خوض غمار السياسة ومشاكلها ومؤامراتها وبالتالي صراعاتها التي كثيرا ما ادت ببعض الزوايا إلى محاربة المتولين او إقلاق راحاتهم على الاقل، وليس صدفة أن نجد العديد من الزوايا تتعرض للامتحان سواء على العهد السعدي او العلوي وتبقى الزوايا الرجراجية بمناى عن ذلك بل بمنجاة منه، بل كانت علاقات الرجراجيين دوما مع السلطات القائمة علاقات تواز وتقدير وتكليف لفض المشاكل وحل النزاعات.

وهذا ليس معناه ان الجو كان دائما صافيا لا غيوم فيه، ففي قصة الإمام عبد الله المليجي الشوشاوي الرجراجي مع علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني بعد حرق كتاب: "الاحياء" للإمام الغزالي؛ وكذلك العالم عمر بن محمد الرجراجي الفاسي مؤلف كتاب "هداية من تولى غير الرب والمولى" مع أبي سعيد المريني، ما يدل على أن الفقهاء الرجراجيين كانوا يشددون النكير على الحاكم ولا يتاخرون في الصدع بآرائهم والجهر بها" ، هذا مع أن للمرينيين دورا هاما في جمع شتات الرجراجيين بعد المحن التي لحقت بهم فكانت علاقاتهم وإياهم جد ممتازة، وحسب علمنا فإن أقدم ظهير عند رجراجة يرجع لابي الحسن المريني ويوجد مع وثائق زاوية سيدي سعيد السابق.

والرجراجيون كانوا من أول يوم مسؤولين عن الدولة السعدية، فإن عبد الله القائم السعدي وولده ابا العباس الاعرج نزلا ببلادهم بافوغال بالدرى وظلا يقاتلان العدو البرتغالي بمن معهما من رجال حاحة ورجراجة إلى أن استشهد الوالد سنة **923**هـ/**1517**م ليخلفه الولد.

وقبل السعديين ومنذ تسلم الوطاسيون القمة وبدات الشواطئ تسقط تباعا أدرك الرجراجيون ما يحاك لدولة الإسلام بالمغرب فهبوا مع من هب من إخوانهم المواطنين للقيام بالواجب وطرد المغير، هذا العمل الذي لم ير فيه مؤلف (الحضارات الإفريقية) : سوى عمل عنصري وغير حميد إذ كتب "ولكن المغرب زاغت عن صوابها عندما أبعدت الإسبان والبرتغال في أواخر القرن السادس عشر، فانغرس فيها الحقد الديني كما انغرس من قبل على سواحل الجزائر وتونس بين أهلها والاتراك، فانقطعت الصلة واصبح البحر المتوسط جحيما **85**.

الرجراجيون والحركة الوطنية :

وقبيل سقوط بلادنا تحت النير الاجنبي وبعد سقوطها ذاق الرجراجيون في زواياهم ما ذاقه أهل المغرب اجمعين من تعسف وضغط وهتك للحرمات وعذابات أليمة سواء من طرف الاستعماريين مباشرة أو من طرف زبانيتهم القواد الذين فتح لهم

الاستعمار شهية التسلط فبغوا واستبدوا واستعبدوا وقتلوا واقترفوا... وهناك مآس كثيرة ارتكبت ضد صلحاء وعلماء ومرابطين خاصة في الزوايا التي كانت لها نجدة وكلمة وسمعة.

ودخل الرجراجيون فيما دخل فيه إخوانهم المغاربة حيث رأت الحركة الوطنية وبعد هزيمة البطل الخطابي والقضاء على ثورة الأطلس، إن الامر يحتاج إلى المقاومة السياسية والإقبال على التعليم وإنهاض الشعب ومحاربة البدع والتدجيل، ومقارعة الاستعمار عن طريق الوعي والإيمان بالعلم وبذل كل شيء في سبيله والحكم بما انزل الله، ولو سلطة الرقيب باسطة نفوذها انطلاقا من أن الأحكام الشرعية لاسلطة للإدارة عليها.

وحينما قدمت عريضة الاستقلال كان للرجراجيين ممثلهم، إذ كان للسيد عبد الله ابن محمد الرباطي الرجراجي- قيم الخزانة العامة- شرف التوقيع مع الأبطال الذين وقعوها، وكان هناك آخرون ذاقوا السجون والمنافي وأوذوا في النفوس والأهل والمتاع.

الزوايا الرجراجية ونفي محمد الخامس :

وما أن نفي محمد الخامس رمز المشروعية رحمه الله وعائلته الكريمة حتى أصاب الرجراجيين ما أصاب غيرهم، لكنهم لم يبقوا مكتوفي الأيدي، ولم يسترسلوا في النواح والعويل وإنما فعلوا ما فعل الشعب وما فعله معروف، إلا انه ومن الإنصاف أن نتعرض لبعض الحالات الفدائية التي وقعت في الاقليم والتي تدل على أن مواطنيه لم ينسوا قضية شعبهم الكبرى، ولا ملكهم المجاهد ولا استقلال بلادهم، ولم ينكصوا أو يخافوا جبابرة الاستعمار وذيوله وسواء كانوا داخل الاقليم أم خارجه فقد ساروا في درب النضال كبقية المغاربة.

نوع العمليات:

- 30 يناير 1955 بموكادور- الصويرة الثامنة ليلا تلقى باشا المدينة رصاصتين من شخص مجهول عندما كان ذاهبا إلى منزله، وأصيب بجروح متفاوتة الخطورة في كتفيه وفخذه ومع ذلك فقد استطاع الباشا مطاردة الشخص المجهول، مما ادى بالفدائي إلى مواصلة إطلاق النار من فوهة مسدسه فجرح جرحا بليغا مغربيان وأوربيان، وألقت الشرطة القبض على الفدائي[96]

- 11 غشت 1955 على بعد 20 كلم من الصويرة، أضرمت النار في مزرعة فرنسية يملكها معمر فرنسي يدعى فوساط كوميز، فاحترقت كمية هائلة من التبن[97]

- 30 شتنبر 55 بينما كان أحد الاوربيين قرب دار العسكر بطريق الصويرة هاجمه أشخاص مجهولون وطعنوه بآلة حادة ولاذوا بالفرار[98]

زاوية ابن حميدة

هذه الزاوية القائمة على ربوة والمشرفة على سفح جميل مغروس في الطريق

الذاهب من آسفي إلى الصويرة والتي تبعد عن الأخيرة بما يناهز خمسين كلم، أسسها الصوفي الكبير الشيخ امحمد بن حميدة بن سعيد السعيدي الرجراجي الذي كان صديقا للشيخ أحمد بن ناصر الدرعي، وقد عايش هذا الصوفي المولى اسماعيل رحمه الله الذي أنعم عليه بظهائر.

وقد لعبت هذه الزاوية دورها الصوفي والعلمي والإنساني والسياسي، وبسبب هذا الأخير وقعت في مشاكل كثيرة إن لم نقل مآسي متعددة أخليت من جرائها لمدد مختلفة.

أولى هذه المآسي كانت أيام الخصومة التي نشبت بين أولاد سيدي محمد بن عبد الله علي الملك ويظهر أن الزاوية كان هواها مع المولى يزيد، وبما أن القائد عبد الرحمان بن ناصر الذي كان يحكم من آسفي إلى الصويرة. وكان في جانب المولى الحسين فقد خرب الزاوية رغم هزيمته بها.

ثانية هذه المآسي كانت على يد القائد بوجمعة التلاوي الذي ثارت عليه القبيلة وكان من زعماء الثوار واحد من ابناء الزاوية فتعرضت للتخريب وتفرق أهلها خمس سنوات كاملة من سنة 1272هـ إلى سنة 1276هـ.

ثالثة مآسيها -وان سلمت في الناحية البشرية على الأقل- فقد كانت أيام أزمة المغرب على عهد المولى عبد العزيز، حيث الفرنسيون يتشوقون إلى احتلال البلاد وحيث الملك المجاهد المولى عبد الحفيظ يرسي أسس دولته بمراكش، وكانت الزاوية في جانبه، فجاءت جيوش القائد الحاجي وجيوش القائد البشير السناح، وحوصرت الزاوية التي انتقلت إليها كل القبائل المحيطة بها . . . ولكن الأزمة انفرجت، وأرى أن ذلك كان بتدبير من القائد الحاجي الذي كان يضمر ودا صادقا للزاوية كما تشهد بذلك المراسلات والعلاقات التي ما تزال متينة بين بعض سكانها والأسرة الحاجية.

ولم ينس هذا الموقف للزاوية وهي في ذلك ككل الجنوب فبمجرد أن أعلنت الحماية، كان من جملة التدابير التي اتخذها الفرنسيون في هذه الناحية انتزاعهم زاويتي ابن حميدة واكرات من نفوذ القائد الحاجي وإضافتهما إلى القائد الحاج لحسن خبان والغاية من ذلك مزدوجة :

– معاقبة القائد الحاجي بإخراج أهم جوهرتين لديه لأنه جمع الجموع في شيشت ضد القوات الفرنسية

ب–معاقبة الزاويتين وجعلهما تحت تسلط قائد معروف أمره كأكثر قواد وقته.

مقاومة الاستعمار الفرنسي :

سبقت الإشارة إلى دور الزاوية ونفوذها الذي جلب لها محنا ومشاكل، ونشير ثانية إلى أنها ذاقت من ويلات المستبد الفرنسي سواء عينا أو بواسطة الزبانية القواد ، وذنبها أن بعض رؤسائها كانوا متفتحين على المحيط الخارجي للزاوية، إذ كانت لهم علاقات مع كثير من الفقهاء والرؤساء والوجهاء والسياسيين والقضاة خاصة في نواحي الشاوية والبيضاء ومراكش والرباط وسلا وفاس وآسفي وعبدة، كما أن علاقاتهم مع القيادتين القريبتين من الزاوية وهما الأكريمية والحاجية أضافت كثيرا من البنزين إلى النار.

وكان على رأس من اكتوى بالنار الشديدة أكثر من أبناء عمومته وخؤولته الفقيه عبد الله بن محمد المقدم الرجراجي السعيدي.

وقد أدرك هذا الرجل ما يحاك ضد بلاده وعرشها وذلك لوعي متقدم لديه الشيء الذي جعله يدمن على قراءة الصحف التي كانت تصدرها الكتلة الوطنية كجريدة "الأطلس"

واستمر حقد المستعمرين وأذنابهم عليه يوم رفض التعامل مع إدارة الحماية حيث سبق له أن قبل وظيفة شيخ بنصيحة من صديقه القائد أحمد الحاجي ليبعد عنه الشبه والتهم، ولكنه سرعان ما أدرك أن الوظيفة شيء وما يعتمل في نفسه شيء آخر فقدم استقالته الشيء الذي ألب عليه قوى البغي فنفي إلى ضيعته بعبدة حيث بقي بها اثنتي عشرة سنة ابتداء من أبريل سنة 1945...

وقد يكون من المفيد الاتيان بفقرات كنماذج من بعض خطبه :

قال حينما ذهب الملك في رحلة لطنجة سنة 1947 " مولاي وقوفك بطنجة، وخطبتك الشريفة بجمعتها، ودعاؤك لملوك الاسلام، زاد العروبة جراءة واقدام، وأحيا لشعبكم ما ناهز الستين، الا وهو يوم كان واقفا فيها جدكم الهمام، أبو النهضة وأبو الاصلاح، وامامه المخلصون من رعيته، المتفانون في خدمته، على الابراج ومدافعها التي كانت أقصى ما وصلت إليه يد الإنسان في حينها وتمثل لنا أيضا، اليوم الذي طرقها الجبل الراسي جدكم الصنديد المغوار، سيدنا اسماعيل قدس الله روحه، وزادنا طربا وتيها، أن هذه البلدة، صار الكل يدعي أنه بعلها وهي حليلته، حتى برقت أعلامكم ذات الهلال الأخضر، فعند ذاك ذهبت أرجاس الشياطين، وطار السكر ومضت الأحلام، والآن لله الحمد، رجعت المياه لمجاريها، والعروس لمن هو أحق بها، ولا ينبئك مثل خبير.

"إنني وأنا عبد الله مقدم رجراجة نزيل عبدة مؤقتا من رعاياك المخلصين فلتقبل مني هذه الهدية يا نعم الملك الشريف ولو كنت ضعيف سائلا من الله أن يغمس سيدنا في ظله الوريف... وولدك وولي عهدك الضرغام، الأمير مولاي الحسن الهمام، من أيقظ شبلب المغرب في نصف عام، لهو أحق أن يقعد له ويقام، فلقد رأيت شهامته وأنت على عرشك يا إمام ..."[100]

وقال من خطبة سنة 1949 بمناسبة عيد العرش :

"خرج أعزه الله، -يقصد الملك- والعناية تكلاه، كأنه طبيب، جراحي مشمرا عن ساعديه، ولم يبال بفخفخة الملوك في أعيادها، وتكلم في خطابه الموجز البليغ بما أنسى يوسف وعليا سليله، والمولى اسماعيل والمولى محمد حفيده، ولم يرض بانحطاط شعبه بين الشعوب، وبين لهم ما تحمله من المشاق في السنة الماضية من إعانة المنكوبين، والتفريج على المعتقلين، وبناء المدارس، وغير وغير، وأني واشتكى من الخمول في أمور المياه والكهرباء والبريد، والفلاحة على الطرق العتيدة، فليست همة أتاتورك ومارك وجندارك تساوي حبة من خردل في جنب أطنان همته، فهؤلاء الزعماء أرباب العقول، غايتهم إتعاب أفكارهم، في مصالح أوطانهم وعاهلنا هذا أتعب فكره، وأعطى موجوده الخاص، بمصالحه الضرورية، في مصالح شعبه، ولا معين له إلا الله وهمته القعساء التي لا ترضى بالدون، ولم يدخر شيئا ينهض شعبه إلا فعله، اقتداء بجده السلطان العظيم الشأن، سيدنا ومولانا الحسن "[101]

وكلام مثل هذا في تلك الظروف معروفة نتائجه، وليكون أكثر احتكاكا ندب أحد أولاده ليكون صلة بينه وبين رجال الحركة الوطنية ولقد زاره الأستاذان محمد اليزيدي وابو بكر القادري في بداية الاستقلال، بل إن المرحوم الأستاذ علال الفلسي كان يعده واحدا من أصدقائه، وعلال هو الذي قال في حقه في تجمع جماهيري بتالمست سنة 1956 أثناء رحلة له لتلك الناحية "لا يوجد في هذه الناحية من مخلص سوى الزرقطوني وهذا الشيخ الوقور."[102]

نعم إن الزرقطوني ابن لهذه الناحية وضريح جده "مولاي بوزرقطون" لا يبعد عن زاوية ابن حميدة إلا بنحو ثلاثين كلم، ويقصده الرجراجيون أثناء مواسمهم مرتين أثناء ذهابهم للصويرة وحالتما رجوعهم ولذلك يعرف في الناحية بـ "مولى دورين"

وقد استبد به إبان النفي استبدادا فاحشا ومنع من أملاكه ولكنه ظل يقاوم، وتجلى ذلك في مظاهر منها :

أ - إصراره رغم كل شيء على متابعة الكتابات الوطنية ولولا خوف التطويل لاتينا بنماذج أخرى

ب- متابعته لشد أزر الوطنيين والمكافحين سواء داخل الإقليم أو خارجه

ت- اختباء المقاوم محمد الزرقطوني عنده أياما وليالي ذوات العدد بداره بضيعته التي نفي بها قرب جمعة سحيم، والمستعمرون يبحثون عنه أسبوعين كاملين.

ث- ولما توجس خيفة من افتضاح أمره خاصة وأن المقاوم كان يلح على أشياء كان يراها ضرورية كالجرائد العربية والفرنسية، وبما أن الشيخ عبد الله كان لا يعرف لغة أجنبية ثانية، وبما ان أولاده بمراكش للدراسة فلم يتأت شراء الجرائد الاجنبية، وأعتقد أنه بإشارة من أحد أصدقائه الذين كانوا بالادارة ولكنهم مخلصون، أدرك أن الشكوك تحوم حوله فبادر بإرسال المقاوم الشهيد عند أولاده بمراكش، وهناك بقي شهرا كاملا بين مارس ومايه سنة 1954

هوامش الفصل السابع

92- ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار 1904- 1955 بتاريخ 86 ج 15/13/1421 نونبر 1991 كلية الآداب والعلوم الانسانية اكادير ونشرت المقالة في الكتاب بالعنوان السابق ص: 443 ونحن ننشر هنا مقتطفات منها .

93- السيف المسلول لعبد الله بن محمد المقدم السعيدي الرجراجي

94- قرية في الطريق السيار بين البيضاء والصويرة، وتبعد عن الاخيرة بحوالي 30 كلم

95 - الحضارات الإفريقية لدنيز بولم ص: 67

96- مجلة المقاومة وجيش التحرير- الوثائق الرسمية عن المندوبية السامية - سلسلة أحداث ملحمة الاستقلال، ويوجه الشكر للقائمين على شؤون المندوبية باسفي.

97- مكرر ماروك بريس -الامة

98- السعادة-لوبرتي ماروكان.

99- السيف المسلول والرسالة منشورة هناك

100- انظر نصهما الكامل في كتابنا تواريخ مشرقة من حياة الملك والشعب

101- نظرات في حياة الفقيه الشيخ عبد الله السعيدي الرجراجي خاصة. الفصل المعنون بوطنياته- مرقون

102- نفس المرجع.

الفصل الثامن

زوايا رجراجة وإسهاماتها
زوايا اقليم آسفي [103]

مدخل :

ما يزال البحث في دور الزوايا بالمغرب لم يتبلور بالشكل الذي يقف فيه المتطلع على كل ما يود معرفته، وذلك في غياب معطيات كثيرة يعود بعضها إلى السوسيولوجي وبعضها إلى التاريخي وبعضها إلى السياسي وبعضها إلى الاهتمام بالتوثيق والمراجعة والبحث الذي تعرقله أسباب وصعلب لا يتاتى تذليلهما إلا للقليل وبعضها إلى المصالح والحساسيات.

وإذا كان هذا حال زوايا لا يتجاوز عمرها الثلاثة قرون إلى الأربعة فماذا يقال عن زوايا رجراجة التي واكبت الإسلام منذ ان أضاء هذه الأرض، بل إن أصحابها ومؤسسيها هم المسؤولون عنه بعد إسلامهم في زيارة مشرقية لرسول الإسلام عليه السلام كما تفيد اكثر الروايات ؟ ماذا يستطيع الباحث المدقق أن يقدم عن زوايا منتشرة بانتشار رقعة الوطن خاصة باقليمي الصويرة وآسفي، إضافة إلى هذا الكم الهائل من التراكم التاريخي الواضح وغير الواضح، المستمد من آثار ووقائع ومواقف جلية وجليلة او من تخمينات وشهادات شفوية لا تخلو من الغلو والانبهار المصحوبين دوما بالإفراط والتهويل.

معوقات :

إن معوقات عديدة تحول دون تحقيق مبتغى متجرد موثق أهمها :

1 - كثرة الزوايا وتعدد معالمها وتفرق رجالها ونبغائها ودعاتها.

2 - توزع الاهتمامات الشخصية والنوازع الإنسانية المحلية والخارجية.

3- المصادر المعتمدة في هذا المجال لا تسعف الباحث بالكثير، ولا تلبي رغباته النقدية. وإن كانت أكثرية هذه المصادر تصب في اتجاه كونهم صحابة ووصلوا إلى مكة واسلموا ورجعوا يحملون لواء الدعوة للدين الجديد.

4- أن ما عند هذه الزاوية من وثائق ومستندات وعقود ليس عند الاخرى إضافة إلى الضن بها من جانب مالكيها وعدم التعامل بتلقائية معها ومع من يبحث عنها.

هذه المعوقات كان لها خطرها الاكيد والكبير على الاقل من نواحي ثلاثة :

ا-انها القت ضبابية كثيفة ما تزال تطغى على جهادهم وتحركهم ومقاومتهم

وصوفيتهم فاختلط الواقعي بالخيالي، وتسربت كثير من العوائد التي غذاها الجهل والتربص والجمود.

ب-أخرت البحث في الفترة الأولى من تاريخ رجراجة بمناولات جيدة وعقليات جديدة لا تستهدف إلا الحقيقة، الشيء الذي ترتب عنه غموض كبير كاد أن يشوه الفترة كلها لا على النطاق الرجراجي وحده وإنما على نطاق المغرب كله.

ج-افسحت المجال أمام الكثير من الأخذ والرد والتخرصات والشكوك التي كان من الواجب استغلالها في بحث علمي جاد لا مقولات وآراء شخصية ربما كان بعضها مبنيا على تصفية حسابات ليس إلا.

ومع ذلك فالزاوية الرجراجية قدمت لهذا الوطن خاصة وهي تقع على الساحل أو بالقرب منه الكثير، إن على مستوى الجهاد والمثاغرة والتصوف وإن على مستوى العلم والدين والفكر، وإن على مستوى الحياة بعامة.

دور التأسيس :

وقبل الحديث عن التأسيس نقف لحظة مع هذا التعريف "الزاوية هي أداة تنظيمية تفرزها كتلة قبلية، غايتها حماية هذه الكتلة من التفكيك، وذلك بواسطة الشروط اللازمة لبقاء هذه الكتلة على المستوى المادي أولا، ثم ربطها على مستوى الشرعية السياسية / الدينية، بالإسلام الشرعي ثانيا"[154]

فأين تقف الزاوية الرجراجية من هذا التعريف ؟ وكيف يطبق عليها ؟

ونرى أنه ينطبق عليها إلا فيما يخص الشق الثاني منه المتعلق بالربط بمستوى الشرعية السياسية/الدينية التي لم تتبلور ساعتها عند المؤسسين، ولم يكونوا يفكرون فيها من منطلقاتهم الخاصة، وإنما جاء بعد ذلك بعد مضي عشرات السنين خاصة بعد أن افترق المغرب عن المشرق وأصبح له كيانه وذاتيته، وسياسته وتوجهاته، بل حتى الظروف التي كان يعيشها المغرب كله، والجهة التي تواجدت فيها الزاوية منه، كانت ظروفا ما تزال تتعثر في دعوة إسلامية ناشئة من أناس لم يعتمدوا قوة ولم يجردوا جيشا، واستعمار قرطاجني متمكن وشخصية متبربرة مؤطرة بحب ما لديها والاستعداد للدفاع عنه بكل ما أوتي وإن المصاعب التي تعرض لها الفاتحون الأولون لاكبر دليل، ويبقى أن تاسيس الزاوية الرجراجية كان وراءه غرض ديني محض، وابقاء شعلة الحماس الديني مشتعلة في النفوس، فإن الرجال السبعة الذين أسلموا وبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورجعوا لهذه المنطقة كانوا متفرقين في نواحيها ولا يجتمعون إلا إذا دعا داع لذلك.

ومن جملة ما اتبعوه في منهجيتهم ليحافظوا على تماسكهم والبث لدعوتهم هذه المواسم (الدور) التي ما تزال تقام ربيع كل سنة فلاحية، والتي اتسعت أفقيا وعموديا حتى وصلت ستة أسابيع متواصلة، وكانت مقتصرة في الأول على السبعة حيث يزورون ويزارون.

ولعل في اختيار الربيع لدورهم والطريقة التي بها يبتدئونه ما يستشف منه الكثير

"اعلم انه إن كان دخول مارس الفلاحي بالسبت أو الاحد، فإن الدور يكون في الخميس الاول منه، وإن كان بالاثنين أو الثلاثاء، فلا لان رجراجة يتحرون أيام الحسوم فلا يبدأون فيها مواسمهم السنوية... ويوم الجمعة الذي هو يوم الدور[105] يتفنن الناس في الاحتفال والفرحة والزينة وبضريح الشيخ أبي علي تلتقي الطائفة بالمقدمين، وعلى بابه يستعيذون بالله من الشيطان الرجيم ويصلون على أشرف الورى عليه صلاة الله وسلامه..."[106]

هذه المواسم التي أدت دورها جيدا والتي لم تسلم من بعض البطش وحتى الايقاف في بعض مراحلها كانت غايتها الأولى والأخيرة كما قلنا المحافظة على الجذوة الحماسية في النفوس والاستعداد للبذل إذا ما هدد الدين مهدد، ثم اتسعت هذه الغاية لتدخل بعد ذلك السياسة والتنازع بين العمال والقواد على الزوايا التي كانت تجد في السلطات العليا منجدا ومنصفا.

الزاوية الرجراجية وأطروحة الاندماج والتمايز.

إن الزوايا الرجراجية كانت بعيدة عن أطروحة الاندماج التي تقول إن أطروحة الاندماج لم تر إمكانية للوصول إلى السلطة إلا انطلاقا من "الزاوية" فوراء كل زاوية يكمن مدع للعرش[107] "ورغم أن هذا القول فيه غلو كبير في تقديرنا على الاقل فإن الزاوية الرجراجية كانت بمنأى عن منطوق القول ومفهومه ومفعوله، فهي لم تناور ولم تحارب من اجل عرش، ولم يسجل التاريخ أن واحدا معروفا من أبنائها تقدم للصفوف للمناداة على نفسه ولتكوين دولة، رغم أن الرجراجيين كانت لهم مكانة عند المرينيين حيث إنهم كانوا من أول من بايعهم[108] وكانوا اليد اليمنى في قيام السعديين، وإن فسد الجو بينهم أيام الشيخ محمد بن زيدان بن المنصور الذهبي، فثاروا عليه وحاربهم فهزموه الشيء الذي استوجب التفكير في رجال سبعة بمراكش علا شأنهم وتبلور أمرهم أيام مولاي اسماعيل العلوي.

وكذلك الأمر فيما يرجع لأطروحة التمايز الذاهبة إلى كون الزوايا تنشأ انطلاقا من التناقض الحاصل بين "المجتمع و"السلطة"[109]، وذلك انها في الوقت الذي تأسست فيه لم تكن هناك مؤسسة سلطة قائمة تنشر ألويتها على البلاد، ولم يوجد بعد ذلك المجتمع المتفاعل مع سلطته سلبا أو إيجابا فيصفق لها أو يحمل السلاح.

قد يقال أن الزوايا الرجراجية لم تاخذ اسمها إلا في العهد المريني الذي كان له الفضل في شد أزر مؤسسة الزاوية بعامة، وانما كانت تسمى رباطات كرباط أكوز ورباط شاكر. وفي غياب أي معطى ينفي أو يثبت هذه الحقيقة بالنسبة لزوايا رجراجة، فإننا نقتنع به لكن مع التأكيد على أن زوايانا هذه سواء قبل العهد المريني أو بعده كان مفهومها معروفا ومهضوما، لم تكن لها من غاية غير ما أسست من أجله، ولا شك أن السلطات والأسر الحاكمة التي توالت على المغرب أدركت هذه الخاصيات فعاملتها باحترام وعاشت في نوع من الاطمئنان، ولم تتعرض لما تعرضت له زوايا أخرى من محاسبة ومحاربة وإنهاء وحسب ما نعرف فإن أول ظهير يوجد بالزوايا الرجراجية هو في حوزة السعيدية، من قبل أبي الحسن المريني.

أدوار مختلفة :

وتناغما مع ما من أجله انشئت حققت الكثير مما تريد بآليات مختلفة وفي ظروف متنوعة، وقد يكون مفيدا الإشارة إلى بعض ذلك :

أ-الناحية الصوفية: رغم أن الصوفية الرجراجية المتأخرة متأثرة بالشاذلية وما في معناها فإن صوفية الأولين كان قوامها الاساس الديني والتفكير المحلي المبني على التصور العملي الصرف للتصوف، الغير المغرق في الاتكالية والتهجد وقتل الوقت وايلام النفس فقرن الجهد بالجهاد والاعتكاف بالعمل والعلم بالسلوك والذكر بالانضباط، وقد تنبه لهذا القاضي بن الزيات التادلي فكتب في تشوفه "وسميت هذا الكتاب بالتشوف إلى رجال التصوف وإن كان مشتملا على أضراب من افاضل العلماء والفقهاء والعباد والزهاد والورعين وغير ذلك من ضروب أهل الفضل، فإن اسم الصوفي يصدق على جميعهم بوضع هذا الاسم عند المحققين فإن كثيرا من الناس لم يحصلوا حقيقة اشتقاقه، والذي يعول عليه، أن انصوفي هو المنقطع بهمته إلى الله تعالى، المتصرف في طاعته"[115]

والقرن الخامس والسادس بطبيعتهما كانا عصري تصوف إلى حد ما، لان الاحوال السائدة كانت داعية إليه، وأن هذه القباب الكثيرة من طنجة إلى الصحراء لمتصوفين رجراجيين أو مجاهدين أو مرابطين أو معلمين لتخفي صفحة ناصعة لذلك الجهد المستمر القائم على أعمدة الدين الحنيف الذي استمر بمجيء الشيخ الجزولي تلميذ أبي زيد الرجراجي، والاستقرار ببلادهم فكون مريدين وأتباعا ومدرسة اتسع فضلها وانتشر.

إن الصوفية الرجراجية أكسبت ذ مع اشياء أخرى ذ الزاوية نفوذا معنويا وقوة مادية تعاملت بها مع الاحداث في يسر واناة وتفهم لكل الأوضاع.

ب-الناحية الجهادية : إن رجراجة منذ اول يوم حملوا السلاح ضد الشرك والكفر والظلم والإظلام، منذ جاءوا حاملين راية الإسلام، وهم يتقدمون الصفوف ولقد حاربوا برغواطة كما حابوا الإباضيين والشعبيين اولا، وحاربوا البرتغال في المراسي والسفوح المغربية من الحدود إلى الحدود، وحاربوا كل من اعتقدوا فيه أنه تنكب الطريق السوي، بل إن المكانة التي تمتعوا بها إنما جاءتهم مما قاموا به ولو كان المجال متسعا لاتسع القول وافيض فيه.

ج-الناحية العلمية والفكرية : لقد وازن الرجراجيون بين كل القيم والمثل الرائعة وبين ما تتطلبه الحياة، ولهذا حرصت كل زاوية على تاسيس مدرستها العلمية والقرآنية، فإن أعجزها الظرف على الإنفاق بالنسبة للأولى، فإن الثانية كانت في ازدهار كبير، ومن ثمة نشطت حركة حفظ القرآن الكريم والتفقه في قراءاته ورسمه، وكانت هناك مدارس قديمة كبيرة جدا كالقرمودية والسعيدية والواسمينية بها العلماء والمؤلفون والقضاة والعدول والخطباء، وأخرى حديثة كالسكياطية والاكراتية والبنحميدية لا تقل عن الاولى إن لم تكن فاقتها، بل إن الاخيرة درس بها العديد من المشاهير كالشيخ أبي شعيب الدكالي، والحاج علي الدرقاوي والد الفقيه الحاج محمد

المختار السوسي ومحمد القشاش الصويري المعروف بالكبير.

د-الناحية السياسية : سبقت الإشارة إلى كون الرجراجيين لم ينغمروا في الشان السياسي، ولكن هذا لا يمنع من مشاركتهم فيه بصفة او باخرى، بل من علمائهم من شدد النكير على الحاكم ولم يبال بسلطته كالشيخ عبد الله المليجي الشوشاوي الرجراجي مع علي ابن يوسف بن تاشفين في قضية حرق (إحياء علوم الدين) للغزالي وكالفقيه عمر بن محمد الرجراجي الفلسي مع أبي سعيد المريني، والعديد من الزوايا تعرضت للضر والعسف من المتولين بسبب مواقف المقدمين المناوئة ولم ترتح نسبيا إلا بعد أن أصبحت تحت مقدم واحد معين بظهير هو الشيخ محمد بن حميدة مؤسس زاوية بن حميدة، من قبل المولى اسماعيل حيث تواصل ذلك في إلى الآن، ولا نريد التعرض للاقتصادية والاجتماعية والإنسانية.

هذا فيما يرجع للزاوية الرجراجية بعامة، ومنها باقليم الصويرة ما يصل إلى الثلاثين ما بين صغيرة وكبيرة. أما في اقليم آسفي فبه العديد نشير إلى البعض في سرعة.

الزاوية الرجراجية باقليم آسفي :

"واما ركراكة فكانت تشمل في ذلك العصر- عصر التادلي- منطقة واسعة بين دكالة وحاحا ومعظمها جنوبي وادي تانسيفت، يحدها البحر غربا، وتدخل فيها منطقة وادي شيشاوة، وتشمل جزءا على الأقل من منطقة متوكة الحالية التي مركزها بوابوض، ويستفاد من التشوف أن قاعدة ركراكة في عصر التادلي كانت هي أكوز، وكانت مرسى على البحر عند مصب تانسيفت، وقد نعتها المؤلف بقرية اكوز، ولكنه أشار إلى انها كانت مقر العامل، وبها يجبي الخراج وكان بها سجن ومسجد جامع"[111]

فحسب النص فاقليم آسفي منطقة رجراجية، وبما انه كذلك فبه زوايا متعددة تاتي بثلاث منها كنماذج، دون أن نغفل التعرض للاخريات :

1-زاوية سيدي عيسى بوخابية :

تنتسب هذه الزاوية كما يدل عليه اسمها إلى الصحابي الشيخ عيسى بوخابية بن كويهل بن حارث بن زياد بن أرتن، أخ الصحابي الشيخ سعيد السابق واحد الصحابة السبعة وهو "رئيسهم في الحروب والحافظ لسجلاتهم، ويسمى بوخابية لانه كان يصبغ ثياب المجاهدين، وهو جد رتنانة ومن معهم ومدفون عند شاطئ تانسيفت."[112]

فالزاوية اكتست شخصيتها المحترمة وتقديرها من رئيسها ومؤسسها الذي أبلى في الحروب البرغواطية وفي غيرها البلاء الحسن، وكان له دوره الريادي في الدعوة للجهاد ونصرة الدين إضافة إلى سبقيته في الاسلام.

ونرى أن دور أحفاده وسمعتهم طغت على سمعته إلا ما كان من بقاء قبته مزارة يفد إليها الناس للزيارة والتبرك، وهذاطبيعي، لتفرق الاحفاد هنا وهناك وسياحتهم في الارض وتكوين زوايا أخرى بعيدة عن الأولى بمسافات قد تقل او تكثر ولكنها خطفت الوهج نوعاما من الجدة الكبرى.

وهذا الشيخ هو أول من تبنى فيه (الخيمة)[13] الرجراجية بعدما تكون المواسم قد انطلقت بما يقارب الاسبوع، وانتقلت بين صلحاء لم يكونوا ضمن السبعة الوافدين على الرسول الكريم، وإنما هم من الاحفاد، فكانما الذين رتبوا سير هذه (الخيمة) وتنقلها فضلوا أن لا تبنى أول الدور إلا في صحابي، وكان هو المختار حسب النظام المتبع، ولا شك أن وراء ذلك امرا لعله هذه الحظوة الجهادية والعمرية.

وثاني أمر كان وراء إخماد ذكر هذه الزاوية نوعا ما فيما نرى هو الاسم فمنطقتها المجاورة بدأت تعرف برتنانة وهي منطقة كبيرة ضمت عديدا من البشر فقد نجد رسائل رسمية وظهائر سلطانية تتحدث عن الرتنانيين ولا تقول العيساويين أوالبوخابيين كالشأن في الواسمينيين أوالسعيديين اوالقرموديين.

وكان بالزاوية متصوفة وطلبة ورجال أخيار ومدرسة مهمة خبا وميضها ولم يعل لها ذكر إلا بمجيء رجل هو الشيخ الأستاذ عبد الله بن احمد الحفيظ بن ناعوم التالمستي الرجراجي فأحياها بعلم القراءات وأدت دورا كبيرا سواء في حياته أو بعد موته سنة 1335هـ.

وكان لتنافس قواد الناحية يد حميدة في تألق هذه المدرسة، "وكان القائد السيد عبد المالك المتوكي ممن لهم شغف بتلك المدرسة ويعينها بأموال طائلة، وكذلك القائد الانجد احمد بن الطاهر الحاجي، والقائدان ولدا خبان الحاج الحسن والعربي رحم الله الجميع"[14]

وما تزال المدرسة وقد جددت وجدد مسجدها تؤدي دورها وبها الكثير من الطلبة يدرسون على العديد من ابناء الزاوية الذين أغلبهم أساتذة في القراءات والعلم أعرف منهم السادة : محمدا، عبد الله، أحمد، أبناء الشيخ عبد الحميد بن عبد الله الحفيظ، وابن عمهم الفقيه السيد حسن بن الشيخ عبد الرحمان الفقيه، وقد كان السيد حسن من فقهاء زاوية بن حميدة يدرس بها لطلبتها ولم يغادرها إلا مؤخرا.

إلا أنه لا بد من ملاحظة أن الصوفية التي كانت منهاجا وديدنا لكثير من أحفاد سيدي عيسى إنما استمدوها منه بالدرجة الأولى ومن ذلك الأفق المحيط به.

ولا تبعد هذه الزاوية كثيرا عن صحابي آخر هو الشيخ عبد الله ادناس ولا عن رباط وقبة فقيه عالم متصوف شهد له الكثيرون بالخصوصية وقالوا عن رباطه إن كل قنطرة من قناطر مسجده حملها ولي من رجراجة، ذلك هو الشيخ اسحاق بن أبي ابراهيم الشهير الدفين قرب سيدي عيسى المذكور.

2-زاوية سيدي حسين (حساين)

هذا الصالح يسمى حساين مول البلب ولعله لوجود زاويته عند مصب نهر تانسيفت في البحر، ولقربه من الصويرية القديمة التي هي على مرآى البصر منه.

وهو من أحفاد الشيخ عيسى بوخابية إذ ينتسل من الفرع الاول من ثلاثة فروع وبينه وبين جده الأعلى تسعة أسماء، إذ هو حسين (احساين) بن عبد الرحمان- أبي زيد ذ بن إلياس بن ابراهيم بن رشيد بن مصراف بن يلسين بن عبد الحكيم بن زيد بن

علي بن عيسى بوخابية[113] وكان أحد المرابطين المريدين برباط اكوز الشهير الذي لا يفصله عن زاويته إلا المسافة المائية المتمثلة في عرض النهر وقد أصبح هذا الرباط الآن خرابا، رغم انه كان كما سبقت الإشارة إلى كلام التادلي قاعدة ركراكة ومرساها المطل على البحر والمقر للعامل...

فإذا عرفنا أن القاضي التادلي مات ببلاد ركراكة سنة 627 أو 628 هـ وأن الشيخ احساين الرتناني كان من أهل القرن الثامن ادركنا اية صلة بينه وبين الرباط الذي كان ساعتها يؤدي دوره كاملا من كل النواحي الدينية والصوفية والسلطوية والاقتصادية حتى إنه كان رنة تتنفس بها مدينة اغملت وما حولها ومدن أخرى كنفيس التي هي مدينة رجراجية. ورغم أن تعتيما ما يلف حياة هذا الولي، فقد عرف عنه انه كان من المتصوفة الكبار، وانه كان على الطريق الواضح، ولا عجب فسلسلته إلى جده هي الشبيهة بالتي تنعت في الحديث بالسلسلة الذهبية فوالده هو الشيخ الجليل عبد الرحمان أبو زيد دفين شوشاوة المعروف (بسيدي بوزيد) وقد كان من الكبراء، وترجم له غير واحد، وقد جاء في (المرآة والممتع) أنه "اقام بحرم الله عشرين سنة، وأخذ طريق التصوف عن أبي الفضل الهندي عن الشيخ عنوس عن أبي العباس القرافي عن أبي عبد الله المغربي عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهم، ومن طريقه تروى الطريقة الشاذلية، فالشيخ الكبير سيدي محمد بن سليمان الجزولي يرويها عن ابي عبد الله محمد بن عبد الله أمغار الصغير عن أبي عثمان الهرتاني عن أبي زيد[116] "فهذا النص الغني يبين لنا من هو سيدي احساين ومن هو أبوه.

ومن عجيب اننا لا نجد زوايا كثيرة تناسلت من سيدي عيسى غير هاتين عكس الصحابة الآخرين الذين تناسلت منهم العشرات، وقد يكون لقربهم من البحر والسياحة فيه والاشتغال بالصيد والعمل اليومي دور ما، وما يزال حتى اليوم الصيد البحري من أهم ما يشتغل به الرتنانيون، وما يزال (الشابل) المصاد من واديهم من ألذ أنواع السمك. على أن هذا لا ينفي أن هناك صلحاء وقضاة وفقهاء وسياسيين ورعاية من الدولة، وكان الفقيه الاديب الرقيق الشاعر البليغ الحجة علي بن محمد بن الحسين الرتناني المعروف بارتنو واحدا من كتاب الديوان عند احمد المنصور الذهبي ومن قواد جيشه، ومن شعره في باب من أبواب قصر البديع بمراكش.

الحسن لفظ وهـذا القصــر معنـاه	يا ما أملـح مـــرءاه واسنـاه
فهو البديــع الــذي راقـــت بدائعــه	وطابق اسم له فيها مسمــاه
ضريح أقيمت على التقوى دعائمه	ودل منه على التاريخ معنـاه
ولاح أيضـا وعيــن الحفــظ تكــلاه	تاريخه من تمام (قل هو الله[117]

ولهذا السيد ظهير من المنصور مؤرخ ب 1014 من ضمنه : (لا تزال بحول الله وقوته أحباس أرتنو ومحاريثه بمرسى أكوز بوادي تانسيفت ومن يرد على تلك الزاوية ويقصدها من الزائرين لاهل الله بسواحل رجراجة ، والظهير يبين حتى الحدود الواجب احترامها من دورة علي ابن عبد الله إلى بير واعزيز إلى دار خالد وعرق الرمل المعروف بلبيار إلى البحر، ومن جهة الشرق جلته الاسوار إلى المشرع وإلى الوالي [118]

ويظهر ان الأمر كان به نزاع بين المرابطين أنفسهم وبين من يجاورهم إذ ختم

الظهير هكذا "من يدعي شيئا في الأرض المذكورة يحضر به مجلس القضاة" [120]

وجددت الظهائر الرثنانية على عهد مختلف السلاطين العلويين خاصة مولاي اسماعيل وسيدي محمد بن عبد الله ومولاي الحسن الأول.

3- زاوية شاكر بن يعلا (سيدي شيكر)

يعرف الناس مقام شاكر وما حوله بالرباط لكثرة من كان يتعبد به من الرجال والنساء، ولكثرة من كان بمسجده من العلماء الإجلاء والفقهاء الذين لا يصل منهم منبره إلا الآحاد. وهو بن يعلى بن مصلين الرجراجي الضحابي، وهو تابعي كان مع عقبة بن نافع الفهري، وهناك رواية تقول بأن الصحابي الشيخ واسمين جمع بهذا المحل المصامدة ودعاهم إلى الإسلام فبقي من ذلك التاريخ معلمة للخير تفوح منها روائع الفدانية والبذل.

وكان له موسم رمضاني كل سنة يقصده العباد والمتصوفون من كل الانحاء وكان الشيخ ابو محمد صالح دفين آسفي من قاصديه المداومين، وله ترجمة تليق بامثاله كتبها المتقدمون كاليوسي الذي نقل عن التشوف أن يعلى بن مصلين بناة أي الرباط - وكان يقاتل به برغواطة مرات، وأن طبله هو الباقي هناك وكذلك المتأخرون وهم كثرة. وقد الف في الرباط وصاحبه الشيخ عبد الحي الكتاني كتابا بعنوان (رباط شاكر) ولخصه في مقالة نشرت بمجلة المغرب بعنوان (اشرف بقعة واقدس بناحية مراكش) ومنها : "وقد قصدت زيارة هذا الرباط عام 1341 واقمت به مدة في ذلك البسيط البلاهض على ضفة ذلك النهر المنهمر وقرات دروسا في هذا المسجد العظيم المهول في بنانه الواسع في أكنافه الممتد صومعته تناطح "السحاب، وامليت فيه دروسا حديثية "[122]

وكانت الصلة وثيقة بين مدينة أغمات ونفيس بما تضمانه من علماء وصوفية وبين رباط شاكر الذي هو من محيط مدينة نفيس والذي كان إشعاعه الصوفي قد امتد إلى كل الأرجاء. ولاحفاد شاكر بن يعلي زوايا متعددة أغلبها في اقليم الصويرة تتقدمها زاوية أبي خميس محمد بن أبي رزج (سيدي محمد بن مرزوق) الرجل العظيم الذي قالوا عنه إنه كان من الأطواد وانه لقي الخضر عليه السلام. وكان له في مقام الصوفية والإقبال على العبادة شان واي شان، "واقلم ابو محمد خميس نيفا وعشرين سنة لم ينم ليلا ولا نهارا إلا وقت وقوف الشمس"[123]

وليتصور المتصور هذه الحلقة من المتصوفة التي تبتدئ من شاكر إلى أبي عبد الله امغار، إلى أبي محمد صالح، إلى إسحاق بن ابراهيم الرجراجي، إلى علي بن أبي علي الرجراجي إلى عيسى مول العهد الرجراجي بأربعاء النعيرات بالشياظمة إلى أبي خميس هذا إلى أغمات إلى نفيس فرباط شاكر، وما تضمه داخلها من كمل الرجال وأكابر القوم، وليتصور هذه العلاقة بين كل هؤلاء وبين زاويتي أبي خميس وسيدي احساين ولد الصوفي الكبير سيدي أبي زيد شيخ الجزولي وما وهبت ومنحت وما طعمها به الجزولي بعدئذ من مريدين وعباد، وليتصور ثالثة كل ما اضافه الشيخ عبد الله الغزواني لكل هذا، فقد وفد من فاس ليستقر بمراكش، وبقي عند قبر أبي زيد مدة ليريه للناس بعد

ما طمرته حوادث وأحداث ليتأكد اية صلة كانت تربطه بين كل هؤلاء أصولا وفروعا وأي حزام متين وأمني كانوا يقيمونه واية صوفية كانوا يتبعونها، وفي موقف أبي خميس من الذين عملوا له تطوعا بدون اجر ما يعطي الدليل على صفاء نفوس هؤلاء القوم، ولقد عبر عن موقف أبي خميس هذا الشيخ ابو العباس بن عبد القادر التستاوتي في نزهته.

خميس ابى أن ياكل الزرع إذ رأى * من الناس قوما يحصدون بلا اجر.

وكما نسل شاكر من صوفيين وعباد فقد كان كذلك مقرءون وقضاة واخيار منهم الفقيه القاضي السيد بوعزة وأخوه السيد عبد القادر بن قاسم قاضي آسفي والمتوفى سنة 1349 وهم من البومحمديين بدكالة على مقربة من سيدي ابي النور (بنور)، "وقد أقام هذا الاخير دعوى شرعية على جيران سيدي شاكر حتى منعهم من الفتوحات لان تحت يده ظهائر ورسوما استحقوا بها حيازة ظهير جدهم والانساب تحاز بما تحاز به الاملاك شرعا، وفي العمليات الفاسية :

ولبنيهم صدقات الصالحين ثم لمحتاج بذاك يستعين"[134]

زوايا أخرى بالاقليم :

وهناك زوايا أخرى تجيء بعد التي ذكرنا وأهمها زاوية الشيخ محمد بن باعزي بجمعة سحيم، وقد نزل عبدة أيام الاحتلال البرتغالي لشاطئ آسفي، ولاشك انه جاهد ثم رابط بمكان زاويته إلى أن توفي بها.

ولهذه الزاوية علاقة مع الباعزيين والبطريطشيين احفاد سيدي سعيد السابق بالشياظمة لانهم أبناء عمومة لهم، كما لهم علاقات كبيرة مع زاوية بن حميدة السعيدية خاصة مع الفقيه الشيخ عبد الله السعيدي الرجراجي المقدم مؤلف كتاب (السيف المسلول)، وبين الجانبين مصاهرة أثمرت حلوا نشات حينما كان الفقيه المذكور منفيا بعبدة من سنة 1945 إلى الاستقلال من اجل قضية المغرب الكبرى.

"ولقد كان الخليفة الحافظي الشافعي يقبض المغارم من أبناء هذه الزاوية فمنعه نقيب رجراجة الشيخ البشير جدنا طيب الله ثراه، كما منع جميع من ينتسب لهذه الطائفة من المغارم"[135]

وهناك زاوية سيدي أبي الشتاء البطريطشي السعيدي الرجراجي، وهو ولي صالح، وبدر أيام لانح، نزل عبدة في القرن الثاني عشر الهجري واحفاده الآن يذهبون أيام المواسم الرجراجية لجدهم الاعلى. وقد كان القائد عيسى بن عمر العبدي استبد بهم وبالمليجيين آل آيير، وأراد ان يسلكهم في سلك العامة فلم يتات له ذلك لشكوى رفعها مقدم رجراجة السالف الذكر للسلطان مولاي الحسن الاول فأنصفهم منه، ولكن الانتقام جاء في ناحية أخرى.

أما زاوية الشيخ سعيد بوغنبور بالبروكات وأولاد سي بوبكر فينتسبون للصحابي الشيخ سيدي أبي بكر أشماس المدفون بالزاوية القرمودية بالشياظمة. لقيه الشيخ اليوسي سنة 1095هـ وذكره في آخر المحاضرات وتبرك به.

أما زوايا الكرعان والغرانر وأبي البركات فتنتسب للصحابي سيدي واسمين وكان

بها رجال وعلماء أخيار تعرض لهم صاحب السيف المسلول، وصاحب الجواهر الصفية الفقيه محمد بن احمد العبدي الكانوني.

وبالشهالي فرقة من الواسمينيين تعرف بأولاد بن سليمان أشهرهم الفقيه محمد بن سليمان قاضي آسفي وعبدة المتوفى سنة 1314، وولده الفقيه نائب القاضي أبو حفص عمر. وبداخل مدينة آسفي يوجد العديد من الاضرحة لصلحاء رجراجيين من بينهم سيدي واصل وبه عرفت الزاوية المشهورة، وسيدي عبد الكريم وتسمت به إحدى حومات المدينة بجماعة بياضة، وسيدي محمد الرجراجي يقام عليه موسم صيفي سنوي، وسيدي عبد الرحمان بن ابي ابراهيم، وهو من أهل القرن السادس وضريحه بباب الشعبة، وقد قال فيه القاضي العلامة محمد بن عبد العزيز الأندلسي الآسفي قصيدة تربو على الثلاثين بيتا منها :

يا طالب الفضل فعرج على	أبي زيـد التقـي الهمـام
واستمطر الامناح من بابـه	فعابد الرحمـان سـر الغمـام
كم أسفرت طلعة إحسانـه	بمبتغ الإحسـان دون لثـام
وفـرج اللـه بـه أزمـة	من بعدما كانت كجنح الظلام

كما كانت للصوفي الكبير الشيخ علي بن أبي علي زاوية كبيرة تضارع رباط أبي محمد صالح خربها البرتغال حينما ابتليت بهم المدينة...

والملاحظ أن خطا رفيعا من الأخلاق الجيدة والتدين المتين والتحلي بالفضيلة كثيرا ما ينتظم هذه الزوايا والساكنين بها ولو لم يكن أصلهم رجراجيا رغم ضمور ادائها العملي، ورغم محاربة الاستعمار لها، ورغم كونها ركنت إلى الظل بسبب ما هجم به العصر الحديث من محاربة لكل معلم مضيء.

وعسى أن تتاح الفرصة لتفصيل أكثر فإن الحيز المخصص لا يسمح بأكثر من هذا.

هوامش الفصل الثامن

103- مجلة أمل عدد: 20/19 سنة 2000

104- المجلة المغربية لعلم الاجتماع السشيلسي)مؤسسة الزوايا بالمغرب الإسلامي/ مساهمة في لتكوين) س1ع1 دجنبر 1986.

105- هم :-1-واسمين بن يعزي بن مهدي بن اسماعيل بن مروان بن علقمة مدفون بجبل الحديد - 2-ابو بكر المدعو أشملس بن عكرمة بن غيين بن أبي خابية بن امج وضريحه بأقرمود. -3-ولده صالح قيل إنه مدفون مع والده. -4- عبد الله الملقب بادناس ابن عامر بن دانم بن مجاهد بن ارتن، مدفون ببلاد التوابيت قرب بوخابية. -5-عيسى بوخابية بن كوبهل بن حارث بن زياد بن ارتن مدفون عند شاطئ تانسيفت-6-يعلي بن واطل بنمصلين، المدفون - برباط شاكر. -7- سعيد السابق المكني يبقى بن كويهل بن حارث وهو أخ لأبي خابيية. مدفون بطالعة الشياظمة بقبيلة العساعسة/ المواريد على مشارف حدود قبيلتي الشياظمة ومتوكة عن السعيدي عبد الله بتصرف- السيف المسلول نسنة 1987-1407 ص4/3) شركة الطبع والنشر - البيضاء

106- عمليا بداية الدور هو يوم الخميس ولكن الرسمي هو يوم الجمعة، اما سابقه فيسمى (الصفية) ولعله كان الصفاء او الصفوة فحرف بالاستعمال عن طريق العامة وكأنه تهييئ للذي يليه وهكذا

في كل ايام الدور.

107- المجلة المغربية لعلم الاجتماع السيلسي، مرجع سلبق ص. 17.

108- السيف المسلول مرجع سابق 1 ص31

109- المجلة المغربية لعلم الاجتماع السيلسي، مرجع سلبق، ص. 17.

110 - مقدمة التشوف لابي يعقوب بن يوسف التادلي تحقيق: التوفيق أ. ص 34.-1404-1984 كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط (نصوص ووثائق).

111 - نفس المرجع، ص 24.

112- السيف المسلول ج1ص17

113- الخيمة فسطاط ليفي احمر، كان يقدمه بعض القواد، اما الآن فيجدد كل سنة أو سنتين بمبادرات شخصية، تبنى ويجلس فيها الرجراجيون للقراءة والذكر وتلقي الفتوحات وترجع لمكانها بزاوية بن حميدة حال ما ينتهي الدور وهي عندهم من المقدسات.

114- السيف المسلول ج: 2، ص: 276

115- حسب رسم مؤرخ ب 997 هـ أخذت منه نسخة بتاريخ قعدة الحرام متم 1100

116- السيف المسلول ج:2ص 255 ترجمة ابي زيد.

117- نفسه.

118- السيف المسلول ج2 ص:283

119- نفسه.

120- نفس المرجع عن مجلة المغرب س:5 ج2 1336هـ

121- السيف المسلول ج 2 ص 283

122- نفس المرجع عن مجلة المغرب س:5ج، 2 1336هـ

123- مجلة المغرب س5،ج 2 1336 هـ.

124- السيف المسلول، ج2، ص: 314 و238

125- نفس المرجع.

الفصـــــل التاسع

1- التأثير الاقتصادي الرجراجي في الناحية[126]
2 - مقدمو رجراجة و علاقتهم بالسلطات المركزية[127]

استــهـــلال

في ندوة كهذه محدودة في الزمان و المكان ، و محدودة في التوقيت و الكلام، و نظرا لوفرة المـواد و تشعب الموضوع، فلا أجد مندوحة من الاختصار الشديد في القول و التحليل.

و جمعية أكوزرتنانة، و هي جمعية رجراجية قلبا وقالبا، إذ تقيم هذه الندوة- مشكورة-فهي تبين عن الحس التاريخي الذي يحرك القائمين عليها و الهم الذي يؤرقهم جراء إهمال بليد طال رجراجـــة و تاريخهم و ضمنه طبعا زاويتهم الرتنانية الكريمة التي لا يخجلها ذكرها ولا تاريخها و لا مشاركتها في الحياة من قديم.

عصر الأمة و الدولة: و منذ وفود الرجال السبعة الرجراجيين على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حقق ذلك كثير من الأعلام ، و منذ توالي الولاة من الشرق على المغرب، و منذ تكونت دولة الأدارسة التي انقرضت بسبب الصراع المرير بين قوى مختلفة ساعتها، فإن المغرب لم يدخل عصر الأمة والدولة المسؤولة عن نفسها و عن غيرها الضاربة في أعماق الحضارة بأسهم، الناشرة لواء الأمن والتسامح إلا في أيام المرابطين الذين ركزوا أسس الدولة وتمتين بنيانها ومن ذلك الاقتصاد.

وطبيعي ، فإن أي اقتصاد لن يزدهر ويتقدم إلا إذا توافرت له مقومات ومرتكزات منها:

- الاستقرار السياسي و الأمني.
- العنصر البشري النشيط الموفر ليد عاملة مستجيبة.
- السوق المحلي و الخارجي المدعوم بثقة في الإنتاج وجودة في المعاملة.

فما حظ بلاد رجراجة من كل هذا ؟

وما هي مساهماتها في تسيير عجلة اقتصاد البلاد ككل ؟

لا نريد القول بان الاقتصاد الرجراجي كان بالغا الغاية في التقدم و القوة، ولكن إذا نظرنا إليه من خلال الظرف و الإقليم و السلط التي لم تكن تنظر إلى الرجراجيين بعين الاطمئنان حتى لا نقول المودة وجدناه أحسن من غيره و في غاية من الاستقرار و التوهج، و مرد ذلك في نظرنا إلى:

- إن بلاد رجراجة كفضاء بين حاحا و تامسنا قبل أن تتقلص- مرورا ببعض بلاد متوكة و الحوز جعلها بلاد فاعلة في غيرها و منفعلة به من الجنوب إلى الشمال
- إن رقعتها الفسيحة المتنوعة مكنتها من استيعاب كثير من البشر الذي نوع

التجربة و أفسح المجال لمواهب مختلفة.
- كونها في موقع لا يستغني عنه المتنقل عبر أنحاء البلاد.
- أنها مهد للعديد من الرباطات الصوفية و الدعوات الإصلاحية و السير على مقتضى الدين و الأخلاق و المروءة (اكوز-شاكر-سيدي إسحاق-سيدي علي بن علي) إضافة إلى مزارات الصحابة السبعة رضي الله عنهم.
هذه العناصر و غيرها صبت في جداول الاقتصاد الرجراجي ليغدو نشيطا متاثرا و مؤثرا

مرتكزات:

فما هي مرتكزاته؟

من خلال النتف التي تركها البكري و الإدريسي و ابن سعيد و غيرهم و التي لم تكن مقصودة لذاتها، و إنما جاءت عرضا وفق ما كانت عليه الأمور حيث كان التاريخ الرسمي هو المهتم به، و من خلال بعض الدراسات العصرية التي تحاول فك رموز المرحلة و تداعياتها، يمكن القول: إن الاقتصاد الرجراجي انبنى على :

أ-المجال الفلاحي الذي اعتمد على:

1 - الحبوب المختلفة: القمح و الشعير و القطنيات و قد كانت تباع بثمن بخس حتى إن الدرهم الواحد كان كافيا لابتياع جميع ما يحتاج إليه المرء من سلع و أدوات، وإن يوم سوق اغمات كانت تذبح فيه مائة من البقر و ألف من الغنم"[128]

2 - الكروم، و كانت تمتد مساحتها على تلال الريف وساحل دكالة و تلال الشياظمة والسوس، وعنب نفيس "المدينة الرجراجية" أجود أنواع العنب، وكان المفضل في الوجبات بالقصور داخل المغرب أو خارجه ومرباه مشهورا و لا تخلو منه مائدة."

وتبعا لوفرة العنب ، كان هناك نوع من الشراب يسمى (الروب) يستخرجه الأهالي و كان منتشرا كثيرا في بلاد السوس و مراكش، و بما أن الجوار يعدي فلا بد أن تكون ناحيتنا اخذت نصيبها ، وقد أصدر الموحدون في حقه منعا من حين لآخر انسجاما مع دعوتهم، فقد كان المهدي بن تومرت كما هو معروف قد أخذ على المرابطين شربهم الخمر من جملة المطاعين ضدهم، دون أن نغفل عنصر الدعاية و الإثارة.

ونعتقد أنه لم تكن له تلك الخطورة التي تذهب بالعقل وتخدر الحس وتعقد اللسان وتعطل الملكات والمواهب لأن العلماء الكبار بدورهم كانوا يتعاطونه.

3- الزياتين، وكانت منتشرة بكثرة ولها معاصر يفيض زيتها على الحاجة المحلية فتغدق على النواحي الأخرى، وما تزال الزياتين والكروم من أهم ما تنتجه الناحية لحد الآن

ب-المجال الصناعي: و هذا المجـال نوعـان:

1) النوع الذي نسميه الآن الفلاحة الصناعية و تجلى في معامل السكر بالسوس وبلاد رجراجة يعدها بعضهم في الإطلاق العام من السوس-وكان معتمدا على ري منظم من سدود بناها الموحدون، وهذا السكر كما يقول الزهري في القرن السادس كان يصدر إلى أوروبا ويشحن إلى إفريقية-تونس-وقشتالة و بلاد الروم-قسطنطينة وبلاد الغال فرنسا"[129]

2) النوع الذي اعتمد بالدرجة الأولى على المعامل اليدوية الخشبية بما فيها من براعة و إتقان، و كان يسد الفراغ في ناحية الملابس، و بلاد رجراجة كانت في القرنين الخامس والسادس الهجريين المصدر الاول لثياب النساء الرفيعة، و كانت قصور العاصمة مراكش بله بقية الإمبراطورية بما فيها الاندلس و المغرب الأوسط و الأدنى معتمدة عليها، بل إنها كانت تجارة رابحة مع دول أخـــرى كمصـر و الشرق العربي و السودان و الاقطار الافريقية ، كما أن الناحية كانت مصدرا لاستعمال الزينـــة و منها معالجة الشعر المعتمدة على اشجار اركان الموجودة بكثرة.

و قد ساعد على كل هذا اليد العاملة المتخصصة و المتوفرة، فإن سكان الأرياف ساعتها قدروا بما يفوق الاربعة ملايين و نصفا.

و يظهر أن الدولة و قتها كانت لها سياسة نشيطة و مضبوطة فيما يخص قطاع الملابس، إذ قسمت البلاد إلى مناطق ثلاث.

- تادلة للاقمشة القطنية.
- سبتة و فاس للحريرية.
- سوس للصوفيـــة.

و لم يحصل كل هذا طبعا إلا بعد استقرار الناحية و ضمان أمن مستتب بين الدولة و المواطنين حيث كانت الثقة بين الموحدين ورجراجة يشوبها الكثير من الاهتزاز يقول المؤرخ عبد الرحمان بن خلدون: " خرج من سوس ثائر من سوقة سلا يعرف محمد بن عبد الله بن هود، و تلقب بالهـــادي، و ظهر في رباط ماسة، فانصرفت إليه وجوه الاغمار من كل الآفاق، و أخذ بدعوته أهل سجلماســـة و درعـــة و قبائل دكالة و ركراكة و قبائل تامسنا و هوارة فسرع إليه عبد المومن عسكرا من الموحدين"[130]

"و مهما كان الامر ، فإن الثورة اشتغلت من **1147/1149**م، من الشمال إلى الجنوب سواء في حاحا أو لدى ركراكة ودكالة، و كان قمع الثورة رهيبا، فقد دخلت جيوش الموحدين في حرب عاقبت خلالها بالتتابع ركراكة و دكالة و هسكورة و ممنطقة تادلة، ومع ذلك فإن هذه الحملات التأديبية لم تبد في أعين عبد المومن كافية، و لذلك قرر من أجل إرساء سيطرته و إرساء الإيمان بعقيدة التوحيد القيام بعملية تطهير شاسعة، فبناء على لوائح مهياة مسبقا بعناية، تم ببرودة إعدام **37720** ضحية من بين أعيان ساكنة مصمودة السهل مما جعل حدا لكل إمكانيات خارجية للنهوض من جديد"[131]

فهل ما وقع لرجراجة يعد ثمنا لتقاعسهم عن مناصرة المرابطين؟

و هل موقفهم هذا هو ثمن كذلك لموقف المرابطين منهم حيث أخضعوهم بسرعة

و قسوة قبل أن يتوجهوا إلى تلمسنا ؟

ح- المجال التجاري:

و في المجال التجاري نجد أن الناحية كانت ملتقى للقوافل القادمة من اغمات و نفيس و الرائحة لها والذاهبة إلى السوس و الشمال، و أهل اغملت المدينة التي كانت تتنفس برنتي أكوز كانوا، " هوارة من قبائل البربر المتبربرين بالمجاورة، و هم أملياء تجار ميلسير، يدخلون إلى بلاد السودان بأعداد من الجمال الحاملة لقناطير الأموال من النحاس الأحمر و الملون، و الأكيسة و ثياب الصوف و العمائم و المآزر وصنوف النظم من الزجاج و الأصداف و الأحجار و ضروب من الأفاويه و العطر و ءالات الحديد المصنوع، و ما منهم رجل يسفر عبيده ورجاله إلا وله في قوافلهم المائة جمل و السبعون و الثمانون جملا كلها موقرة"[132].

و نفيس بدورها : " مدينة صغيرة حولها عمارات و طوائف من قبائلها المنسوبين إليها، و بها الحنطة و الفواكه و اللحوم مالا يكون في كثير من البلاد غيرها، و بها جامع مع سوق نافقة، و بها من أنواع الزبيب كل عجيبة من جمال المنظر و حلاوة الذوق و كبر المقدار، وهو مع ذلك كثير جدا ، مشهور في بلاد المغرب الأقصى"[133]

وقد تعزز الدور الاقتصادي الرجراجي ببناء احمد المنصور الذهبي بشيشاوة أحد أهم المعامل السكرية بالغرب الإسلامي حتى كان سكره يقايض بالرخام و الذهب، كما بنى معملا آخر مجاورا، بحاحا لنفس الغرض، و كذلك ببناء مدينة الصويرة من قبل السلطان سيدي محمد بن عبد الله فاغنت الناحية عن كثير من المدن.. و أيضا معمل مولاي الحسن الأول السكري بإذا اكرض، و ما تزال اطلاله شاهدة على عظمته وقد زرته سنة **1984** فحصلت على بعض المعلومات عنه منها:

-إن الماء الذي كان بالمعمل يجيء من عين إرغن (أيت واطل) البعيدة ب ١٥كلم تقريبا، و يستعمل في سقي قصب السكر .

-الصهريج مربع **4900**م^2، وارتفاعه متران و سعته **9800**م^3 تقريبا .

تلك وقفات قصار نأمل أن تتلوها أخر للتوسع في موضوع مهم جدا هو الاقتصاد الرجراجي .

مقدمو رجراجة و علاقتهم بالسلطات المركزية

مدخـــل:

هل لرجراجة توجه سياسي أو طمع في الملك ؟

وإذا لم يكن فما هي علاقتهم بالدول التي تعاقبت على حكم المغرب ؟

ونستطيع القول انهم لم يكونوا طامعين لا في ملك ولا في سيادة سياسية ولا تطلعوا إليها، ولو شاء وهما لكانوا محرزين، فإن كثيرين ممن تولوا إمارات وحكموا نواحي لم يكونوا لا في قوتهم ولا سمعتهم، وذلك لان القوم كانوا متوجهين وجهة أخرى هي الذب عن الإسلام والعمل على نشر مبادئه وتجديد فرائضه والانخراط في الجهاد

بغاية النصر أو الشهادة، وليس عجيبا أن نجد العشرات من القباب الرجراجية من طنجة حتى لكويرة تنسب للمتصوفين والعلماء والطلبـــة والمجاهدين والقضاة والأئمة والمحسنين ولا نجد واحدة تنسب لثائر معروف ولا مدع للحكم ولا مطالب بالعرش.

وليس جديدا الآن أن المرابطين ما كانوا ليؤسسوا دولتهم بالسرعة المعروفة وينتصـــروا ويسودوا لولا رجراجة الذين كانت لهم-خاصة في الجنوب رباطات وشخصيات مهدت النفــوس والشخوص لتقبل الدولة الجديدة و الوقوف بجانبها و العمل معها على إفشال مؤامرات ممالـــك و إمارات ودعايات وتطاحنات خربت المغرب و كادت أن تقضي عليه بالمرة.

وليس قولنا هذا استخفافا بالقوة المرابطية و لاتنقيصا من جهودها ولا محاولة لإخفاء وهجيتهـــا ونضاليتها، و لا تشكيكا فيما قدمته لهذه البلاد و غيرها من الاقطار الإسلامية، وإنما لأن الدول لا تقوم بين عشية وضحاها ، و الإحساس بالألم والتردي لا ينبت كما تنبث الأعشاب ما لم تكن جهود مسبوقة قد مهدت الطريق و ذللت الصعب و فتحت الأعين وكانت في المقدمة لتبرز حركة دينية انتشر شعاعها واشعاعها.

"فهذه الحركات الدينية و السياسية الكبرى خرجت من دعم رباطات الجهة، و أعطت للتاريخ المغربي زخما كبيرا و كان لقبيلة رجراجة دور ريادي في نشأة الرباطات و العمل على انتشارها في عدد من المناطق المغربية، و كان لها بالتالي دور هام في صنع التاريخ المغربي في العصر الوسيط و بداية العصر الحديث"[134]

رجراجة و الدول المتعاقبة:

لا نريد التيهان في التاريخ لنسرد أحداثه وجزئياته فذلك له مظانه و لكنا نشير إلى بعض النقاط في عجالة كبيرة.

فبالنسبة للأدارسة فقد ءازرهم الرجراجيون مؤازرة تامة، ووقفوا بجانبهم و كانوا في جيشهم و هم يحاربون ضد التفسخ الخلقي و الانخلاع الديني كما كانت لهم مواجهات عديدة مع البرغواطيين تعرضنا لها في غير هذا التدخل ولقد أصابهم من الأسى والإذاية ما أصاب الشرفاء الأدارسة على يد أعدائهم من مغراوة و أمويين، و فقد الرجراجيون الكثير من رجالاتهم ، و في كل ناحية العدد العديد سواء من الذين استشهدوا أو ممن اختاروا البقاء و العيش هناك.

ولقد تعرضنا سابقا للمرابطين و الموحدين إلى أن هؤلاء الأخيرين كانوا أشد وطأة على الرجراجيين الذين لم يعودوا يذكرون (خلال العهد الموحدي في المصادر الإخبارية إلا بمناسبة ذكرى الجباية، مما يعني انها كانت تدر على بيت مال الموحدين أموال هامة من خراجها)[135]

وهذا يؤكد ما قلناه قبلئذ عن الاقتصاد الرجراجي و توسعه و قوته.

ولكن لم ثار الرجراجيون على الموحدين ؟

أراجع ذلك إلى تضامنهم مع القبائل الأخرى المصمودية ؟

أم أنهم رأوهم مغتصبين للسلطة الشرعية المرابطية رغم ما بينهم و بينها؟

أم أن لتعارض مذهبيهما المالكي و الشيعي تدخلا في ذلك ؟

علاقة ممتازة:

و حينما نلقي نظرة على تعامل المرينيين مع رجراجة نجده متزنا جيدا بل في عهدهم جمع شتات الرجراجيين في قصة تعرض لها صاحب كتاب السيف المسلول بل أن رجراجة كما في الحل الموشية كانوا أول من بايع المرينيين . المهم أن علاقات رجراجة بالمرينيين كانت جد ممتازة و متميزة، و حسب علمنا فإن اقدم ظهير لدى الرجراجيين يرجع لايام ابي الحسن المريني بزاوية سيدي سعيد السابق الصحابي[137]

و يحمل العهد الوطاسي للمغرب مشاكل عديدة من ضعف في السلطة و قضاء على الإسلام بالاندلس ، ثم استيلاء الأسبان على العديد من الثغور و المناطق الإسلامية المغربية الأمر الذي تطلب من الشعب كله أن يهب للدفاع ، و قد كان الرجراجيون في المقدمة فإنه في سنة 921هـ بلغ عدد مقاتلي رجراجة رغم تناقص مساحة بلادهم 12000مقاتلا اي عشر سكانها و هو 120000حسب مقاييس التجنيد ساعتها.

و مع الشرفاء: السعديين و العلويين:

من أول يوم كان الرجراجيون حلفاء للسعديين و مسؤولين عنهم، فقد ساهموا في قدومهم من السوس وسلمهم السلطة في شخص أبي عبد اله القائم السعدي وولده و قد حفظ التاريخ أنهما نزلا بافوغال المنطقة الركراكية و ظلا يقاتلان ويجاهدان في العدو إلى أن استشهد الوالد سنة 923هـ/1517م ، ليخلفه الولد قبل أن يدخل مدينة مراكش بعد ذلك.

فعلاقة الرجراجيين بالسعديين كانت أكثر من ممتازة خاصة في عهد أحمد المنصور الذهبي الذي كان من بين وزرائه وقضاته رجال من رجراجة، ولم تسؤ العلاقة بينهم إلا في خضم المحنة التي اشتعل أوارها بعد موت المنصور بين أبنائه و أحفاده، وقد جهز محمد الشيخ الأصغر بن زيدان جيشا وقصد به رجراجة كما في نزهة الحادي (وشق عليه العصا أيضا قبيلة الشياظمة فقصدهم و كانت الملاقاة عند جبل الحديد فهزم هزيمة شنعاء.

فلم شقوا عليه العصا ؟

ولم انهزم هزيمة شنعاء ؟

الجواب نجده في أكثر من تحليل، و لكن هذه الهزيمة -في عرف بعضهم- هي التي كانت وراء تكوين سبعة رجال آخرين عرب يقصدون للزيارة لإضعاف رجال رجراجة

و إذا انتقلنا إلى الدولة العلوية وجدنا علاقاتها و تعاملها مع كل الزوايا الرجراجية و ساكنيها علاقة فيها الكثير من الاحترام و التقدير سواء من الرجراجيين الذين ظلوا على ولائهم أو من الملوك الذين كان لهم اعتناء خاص بهذه الشريحة من المجتمع حتى

كان سيدي محمد بن عبد الله يسميهم (أهل الجناح الابيض).

ورغم أن مولاي إسماعيل هو الذي كان عمليا وراء خلق سبعة رجال بمراكش جريا على سياستة في تقليم أظافر كل من يعتقد فيه تهديد للدولة، فإنه هو نفسه الذي أكرمهم و حبس على بعض صلحائهم الكثير من الأملاك خاصة سيدي واسمين و سيدي سعيد السابق في ظهائر ما يزال أحفادهما يفخرن بها.

ظاهرة التقديم:

لقب المقدم جديد في قاموس الزوايا الرجراجية حسب علمنا لم يظهر إلا بآخرة و إنما كان يشار للساهر على شؤونهم بالامين او الطالب إن كان من أصحاب الفقه وكذلك الامر بالنسبة للزوايا التي لم تأخذ هذا النعت إلا في عهد المرينيين بدفع منهم و إنما كانت تعرف بالرباطات"[39]

و الظاهرة في مجملها العام تعني أن فردا يتقدم أفرادا يؤطرهم في شانهم الديني و يترأس أذكارهم ويحافظ على مصالحهم عند الاقتضاء، ويرجعون إليه إذا حزبهم أمر من الامور ، ولكن في مجملها الخاص يكمن في شيء آخر ، فقد كان لكل زاوية مقدمها و هي تفوق الثلاثين، و معنى هذا أن هناك ثلاثين مقدما بثلاثين رأيا وثلاثين موقفا ومما لا يحصى من الاتباع وتابعي الأتباع، فكان لا بد في التفكير في حل يؤسس لجمع هؤلاء المقدمين تحت سلطة واحدة ويوحد الكلمة بما يتوفر عليه من صفات وفضائل.

وأول مقدم عام لرجراجة هو الشيخ محمد بن احميدة المؤسس لزاويته بجنان الرمان وقد ولاه التقديم المولى إسماعيل و أصدر بذلك ظهيرا شريفا جدد سنة **1128**هـ جاء فيه بعد الحمد لـــة و التصلية: "محو من جراء الطي" محبنا السيد محمد ابن احميدة الرجراجي ، يتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته أننا جددنا له حكم ما بيده من ظهائرنا الشريفة العلوية على كافة جميع إخوانه من جميع زوايا رجراجة أين ما كانوا ، إذ هو كبيرهم و مقدمهم و متولي أمرهم، و أسندنا إليه النظر في حكم زوايا رجراجة بحيث لا يخالف أحد أمره فيهم كائنا من كان و عليهم هم بالسمـــع و الطاعة والإنصات لكلامه فيهم، إذ هو القائم بأمور مصالح زواياهم و تصرفاتهم و أحكامهم وقد أمرناه أن يقبض زكاتهم و أعشارهم من أقويائهم ويردها على ضعفائهم و مساكينهم و عليه بتقوى الله العظيم في السر والعلانية و مراقبة قول النبي صلى الله عليه و سلم: اللهم من ولي من أمر أمتي شينا فرفق بهم فارفق به ، ومن ولي من أمتي شينا فشقق عليهم فاشقق عليه، و دعوة النبي صلى الله عليـه و سلم مستجابة ، تجديدا تاما و حسب الواقف عليه يعمل به والسلام، وكتب في الثاني و العشرين من رجب الفرد عام ثمانية و عشرين ومائة و ألف.

و لتولي هذا الشيخ الفقيه الصوفي صاحب سيدي أحمد بن ناصر الدرعي التقديم قصة هي في السيف المسلول و الفتوحات الربانية ، و الذي يهمنا هنا هو:

-إرجاع الدور (المواسم) إلى معهوده بعد توقيف دام خمس سنوات بعد أخذ ورد بين علماء فاس أنفسهم وعلماء مراكش حول الصحبة التي انتصر لها آخرون.

-تعيين مقدم عام لرجراجة تام المسؤولية و تام السلطة فيما يخص الرجراجيين

وممثلا لهم سواء أمام السلطات العليا أو المحلية.

-وهذا التعيين الإسماعيلي ثم بظهير شريف ظل يتجدد من مختلف السلاطين لمختلف المقدمين من زاوية بن احميده إلى سنة 1320هـ سنة وفاة المقدم الشيخ البشير ابن علي الذي كان يدعوه المولى الحسن الاول مرة بالمقدم و أخرى بالأمين، و كان هو المقدم الثامن في ترتيب المقدمين من عهده إلى العهد الإسماعيلي.

-الظهير السلطاني للمقدم حد من سلطة المتولين فلم يبق في الغالب استبداد لعامل يسبب الفوضى والقلاقل.

-بسبب كل هذا تبلور دور رجراجة في عهد الدولة العلوية أكثر من أي وقت مضى خاصة بعد أن أصبح لهم مقدمان بعد سنة 1270، حيث أصبح المقدم التالمسي-رغم أنه شريف إدريسي يشارك المقدم الرجراجي في بعض مهامه، و ذلك لظروف اقتضته بعد هرج و مرج بالزوايا الرجراجية التي تأثرت بما وقع في الحوز بعد هزيمة المولى عبد الرحمان من قبل الأداية، فطلب مقدم زاوية بن حميدة السيد أحمد بن علي من عامل الوقت أن يسمح للسيد عبد الواسع التالمستي بمساعدته مؤقتا ريثما ترجع المياه إلى مجاريها ، و بعد ما استتب الأمر وقدم السلطان طلب المقدم السيد أحمد أن يكون السيد عبد الواسع مقدما بظهير فاستجيب له.

دور فوق العادة.

و من هذا المنطلق أصبح للمقدم فوق دوره المعروف دور ءاخر : ديني /سياسي/ اجتماعي /اقتصادي/ و هو ما حدده الظهير المتقدم، و غدا المقدم ركيزة مهمة من ركائز التنظيم سواء في مراقبة العمال أو في الصلح بين القبائل أو في مراعاة حقوق الناس مع المخزن إذ كثيرا ما يتوسط بينهـم و بينه لجلب منفعة أو دفع مضرة.

ومن هذا المنطلق كذلك خضعت تولية المقدم لشروط منها النزاهة-العلم - التدين - المروءة - الجراة حسن السلوك - الأمانة - الثقة - الوقوف مع الحق - الدفاع عن الرجراجيين باستماتة، و لذلك كثيرا ما اصطدم المقدم بالمتولين و العمال الذين لم يكونوا يراعون إلا ولا ذمة في سكان الزوايا الشيء الذي اضطر المقدمين لتقديم شكايات للدوائر العليا فينصفون، ولو حاولنا الإتيان ببعض ما تعرضت له الزوايا على يد كثير من العمال كعبد الرحمان بن ناصر و بو جمعة التلاوي و الشافعي و الحافظي وخبان و الأكريمي و المتوكي وعيسى بن عمر لطال بنا المقام... ولكننا ناتي بظهيرين اثنين لمولاي الحسن الاول كدليل على ما سبق أن رددناه.

1 - جاء في الظهير الأول بعد الحمدلة و التصلية و الطابع الشريف:

خديمنا الأرضي المقدم الطالب البشير الرجراجي وفقك الله و السلام عليك و رحمـة الله و بركاته، وبعد، فقد اشتكى بأعتابنا الشريفة المقيدون بالطرة يمنته من الشياظمة (المحجوب بن الحاج الطاهر المدرعي، مبارك بن عامر النسب، عمر بن أحمد النسب ، أحمد بن إبراهيم النسب، أن الأمين مبارك بن عب المدرعي و أخاه الشيخ الركراكي كانا قبضا على الأول في دارهما و نهبا له جميع حوائج داره وبهائمه حسبما

بزمام في يده ، وقبضا على الثاني و أودعاه السجن و نهب له الركراكي بهائمه وزيته و جميع حوائج داره ولم يسرحه حتى أعطى خمسين ريالا و قبضا على الثالث حتى أخذا من عنده خمسة عشر ريالا و جعلاه بسجن العامل حتى قبض منه خليفته خمسة عشر أخرى ، و نهب له الأمين المذكور غلة عرصته كما اشتكى الرابع أن الركراكي المذكور قبض عليه و أخذ منه مرة سبعين ريالا و مرة أخرى ثمانين ريالا و كمية مفضضة و أربعة رؤوس من البقر و مكحلتين و كذبهم الأمين المذكور مع عاملهم القائد مبارك بن الركراكي ، فنامرك بالبحث عن حقيقة هذه القضيـــة و إعلامنا بالواقع فيها فإنه لا يخفى عليكم لمكان جواركم لهم واتصالكم بهم و السلام في 7 صفـــر سنة 1307هـ "[1]

2 - وجاء في الظهير الثاني بعد الحمدلة و التصلية و الطابع:

خديمينا الأرضين الأمينين الطالب الهاشمي و الطالب البشير الرجراجي وفقكما الله و سلام عليكما ورحمة الله وبركاته، وبعد، فقد وصلنا كتابكما فيما فعلاه الشيخان السكياطيان من التعدي على فدان الفقيه كاتبكما السيد محمد بن عمر النسب فأخذ كته غصبا و أرادا قبض أصحابه ففروا (كذا)

نحن كتبنا لعاملهما بأن يكتب (كذا) بإلزام الشيخين أن يردا متاع الفقيه المذكور و أن ينكفا عنه وعن أصحابه و السلام في شعبان الأبرك عام 1298

انحدار في مهمة المقدم:

وليس المقدم الأول وحده و إنما كل مقدمي الزوايا الأخرى حيث فشا الجهل و طغت المصالح وتؤومر حتى على المصالح العليا فانحدرت المهمة و انحدرت معها الطائفة الرجراجية التي غدا دورها مقتصرا على مواسم سنوية لا طعم إسلامي لها ولا نكهة فاضلة تشم منها، وتسلط عليها من لا يملك لا حسا وطنيا ولا خلقيا ولا علميا فأفسد كل شيء.

وأخيرا: فإن أمر التقديم يستلزم بحثا مستفيضا لا يمكن لتدخل واحد أو اثنين أن يفيا بكل ما ينبغي قوله في حقه، و مع ذلك فلنا الأمل في جلالة الملك محمد السادس أن يرد الأمور إلى نصابها و ينقي هذه الطائفة الرجراجية مما علق بها و ذلك بإسناد الأمور إلى مستحقيها لأنها طائفة أسست على تقوى من الله ورضوان.

وبعـــد:

فهذا كتاب (رجراجة وتاريخ المغرب) قصدنا به المساهمة في الاطلاع على هذه الناحية الغنية: اثرا و تاثيرا، جهادا وتصوفا، علما وعملا، سياسة واقتصادا، ثقافة و أخلاقا، كرما و تسامحا، متوخين أن يسد بعض الفراغ الذي يشكو منه تاريخنا الوطني.

و لنا الأمل في أن نكون قد بلغنا قسطا من الذي إليه تشوفنا، و الله من وراء القصد و منه سبحانه وتعالى القبول والتوفيق ، وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه.

مراكش في 6 ربيع الأول 1422هـ 19-5-2002

هوامش الفصل التاسع

126- في ندوة رجراجة بين الأمس و اليوم المقامة بالمدرسة العليا للتكنولوجيا-آسفي 19-2002/4/20من قبل جمعية (اكوز-رتانة)
127- في ندوة رجراجة بين الأمس و اليوم المقامة بالمدرسة العليا للتكنولوجيا-آسفي 19-2002/4/20 من قبل جمعية (اكوز-رتانة)
128- مذكرات من التراث المغربي ج: 2ص: 208/218
129- مذكرات من التراث المغربي :مرجع سابق
130- العبر ج: 6ص 310ط: دار الفكر 1981/1401
131- تاريخ إقليم آسفي/ دفاتر عبدة دكالة رقم 1ص: 252 توحيد المخزن بلاد عبدة /ليون فرينو - ترجمة: محمد نجيدي
132- تاريخ إقليم آسفي/ دفاتر عبدة دكالة رقم 1ص: 252توحيد المخزن بلاد عبدة /ليون فرينو - ترجمة: محمد نجيدي
133- منكرت مرجع سابق ص 210
134- رجراجة رائدة الرباطات بالمغرب الوسيط للحسين إسكان/تاريخ إقليم آسفي من الحقبة القديمة إلى الفترة المعاصرة ص: 211
135- ابن عذارى المراكشي ص: 112عن تاريخ آسفي مرجع سابق.
136- الفقيه عبد الله بن محمد المقدم السعدي الرجراجي
137- كنا نظن أن أول ظهير عند الرجراجيين هو من العهد المريني إلى أن وجدنا عند الفقيه محمد بن أحمد العبدي الكانوني ما يلي: " حدثني صديقنا العالم البحاثة القاضي أبو الفضل السيد الحاج عباس بن ابراهيم أنه في سنة 1325هـ ، لما كان منخرطا في سلك الكتاب في طالعة الدولة الحفيظية جاء مقدم رجراجة وهو رجل أشيب بخنشة من الظهائر الملوكية بتعظيمهم واحترامهم يريد تجديد ذلك الاحترام، قال وقد رأيت فيها ظهائر اللمتونيين فمن بعدهم من الدول، ولم أر في عمري ظهائر لمتونية إلا عند ذلك المقدم الرجراجي. الياقوتة-نسخة 1357ص 43
وكان مقدم رجراجة ساعتها هو السيد أحمد بن البشير المتوفى سنة 1340هـ وهو بزاوية بن حميدة، ومعلوم أن هذه الزاوية كانت منسجمة مع المولى عبد الحفيظ، واعتقد أن هذا المقدم ليس المقدم العام لرجراجة لأن ظهائر زاوية بن حميدة أصابها تلف كبير بسبب المصلحة الشخصية والزبونية والسرقة، وقد تعرض لهذا صاحب (السيف المسلول) في كتابه (الفتوحات الربانية، في ذكر مناقب الطّائفة الرجراجية)
138- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي لمحمد الصغير الإفراني ص: 355 ط 1419-1998 /1 - تحقيق و تقديم: عبد اللطيف الشاذلي .
139- ثلاثة ألقاب كانت شائعة في العهد السعدي: الشيخ وهو خاص بالسلاطين، و"بابا" وهو خاص بأبناء السلطان والمقدم خاص بكبرياء متطوعي المجاهدين (المهدي الوزاني- الكتابة-التصوف- التاريخ) ص: 84
140- السيف المسلول ج: 1407/1987 /1
141 - نفس المرجع
142- نفس المرجع

ملحق


أنفا
رابطة تامنغطت
تطفنط
صنهاجة
مسجد تانوريت
آسفي
أكوز
بني ماكر
مسجد الحسن
رباط شاكر
دكالة
بني مصطاو
حاحة
أدار
180
السوس الأقصى
تارودانت

الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

خدامنا الأمناء أمناء رجراجة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد وصل
كتابكم تخبرون فيه أن أهل رجراجة خرصوا الحبوب وزكاة الماشية فرضوا وطلبتم من جانبنا العالي
بالله الإذن لكم في ذلك وأن يكون خرص زرع أهل رجراجة منهم لا غير خرص الشياظمة
لما أضر بكم من كثرة الشوفة في العام الماضي وتوجيه من يقف معكم على خرصكم ومع أمناء
الشياظمة كذلك ليحصل التحقيق للجميع وصار الكل بالبال أما طلبكم الإذن في
خرصكم وأخذ الزكاة فقد أذنا لكم في ذلك لما أنه لا غير من أمناء الشياظمة وليبقى
خرصكم على مقتضى العادة خارجا عن خرص القبيلة وأما توجيه من يقف معكم على
خرصكم فيصلكم لعله مع من عينا من خليفة العامل القائد والعدول [illegible]
والسلام في [illegible] شعبان الأبرك عام ١٢٩٨

ظهير حسني للأمناء رجراجة
سنة ١٢٩٨هـ
حول فرض الحبوب

الحمد لله وحده — صلى الله على سيدنا محمد وآله

إلى ابننا الحبيب الأديب الطالب الفقيه الحاج [illegible] على الكورة السلام
عليك ورحمة الله وبركاته وبعد فإنه قد وصلت منا معك على عهدك
ومحبتك إلى أن [illegible] ولا تفصلنا من الأعمال الصالحة بكل وقت وحين
فنعلم وأنت تنبهنا على الأدب منذ [illegible] أن تكون منك كذلك
والسلام في ٧ من رجب سنة ١٣١٠

رسم شراء سنة 1342

رسم حادثة قتل سنة 1319 بمسجد زاوية بني حميدة

ظهير حفيظي لتعيين كائد
سنة 1324

فريضة مالك

الحمد لله وحده — وصلى الله على مولانا محمد وآله

ظهير عزيزي للتراابة العكناصيين
سنة 1317
التوقير والاحترام

ظهير حسني مول وصول بركة التمر
سنة 1299

ظهير عزيزي لمقدم رجراجة
لسنة 1314
حول السكة الجديدة

رسم شراء سنة 1293

خديمينا الأرضيين الأمينين الحاج الطالب الحاج التهامي والطالب البشير الرجراجيين وفقكما الله
وسلام عليكما ورحمة الله وبركاته وبعد فمن موجب طلبكما بكتابكما أن تعلما الشيخان
السكياحيين من التعدي على ملك العقبة التي بيدكما الشريف محمد بن محمد النسب ...
كتبه عصبنا وأرادا التصرف على بعض ... فكتبنا لعاملنا بأن يكتب لهما
بأن دام الشيخان ... العقبة المذكورة ... [illegible]
ء ٥ شعبان الابرك عام ١٢٩٨

ظهير حسني لأمينين رجراجة
لسنة 1298
حول كلابهما

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد فقد
تزوج على بركة الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه ... [illegible]
[illegible]

رسم زواج 1214

الفهرست



صدر للمؤلف:

- الحياة وأنا / شعر 1968
- الهاربة: ج 1 / رواية 1973.
- السيف المسلول / تحقيق 1987
- شاعر الحمراء بين الواقع والادعاء، ج.1 – 1999
- الفقيه محمد بن أحمد العبدي الكانوني، حياته وفكره ومؤلفاته – 2000
- شاعر الحمراء بين الواقع والادعاء، ج.2 – 2001
- جواهر الكمال في تراجم الرجال، ج 2 تحقيق – بمشاركة 2004.

إن الناحية الرجراجية الغنية بصوفيتها وجهادها
وإنسانها واقتصادها وعلمائها في حاجة إلى كتاب يبين
لك عن طريق اللمحة والإشارة والسهولة والإيجاز
بغية المشاركة في تيسير بلورة جديدة تمدنا بها موضوعية
بقدر ما نستطيع لمعرفة هذه الناحية أكثر والاطلاع
على مآثرها وفضيلة صحبة رجالها السبعة دون تطويل
ممل أو تقصير مخل

من الإطلالة